من تفسير وتأملات
الآباء الأولين

رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكى

القمص تادرس يعقوب ملطى

إسم الكتاب : رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكى
المؤلف : القمص تادرس يعقوب ملطى
المطبعة : الأنبا رويس "الأوفست"
رقم الإيداع: ٧٢١٢ / ٢٠٠٢م

قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية (١١٧)

مُقَدِّمَة

تسالونيكى

تدعى حالياً تسالونيك، كانت عاصمة إحدى مقاطعات مكدونية باليونان، كـــان اســـمها أولاً ثـــرما Therma، معناها "ينبوع ساخن" أعاد إنشاءها كاســـندر الأول بن انتيباتير عام ٣١٥ ق. م، وجعلها مقراً لكرسيه، دعاها على اسم زوجته ابنة فيليب المقدونى وأخت الإسكندر الأكبر (غير شقيقته)، أى تسالونيكى وفى العصر الرومانى كانت عاصمة للولاية الجديدة فى ذلك الحين، وكان تعدادها حوالى ٢٠٠,٠٠٠ نسمة.

كـــانت لتسالونيكى أهمية عظمى بسبب موقعها الجغرافى على الطريق الإغريقى، وهو طريق عسكرى ضخم يربط روما بالشرق، وبكونها ميناء قـــد أعـــد كمحطة بحرية مجهزة بأحواض للسفن الرومانية. وكان يحكمها خمسة أو ستة من البوليسترخس أى "حكام المدينة" أع ١٧: ٦.

بكونها مركزاً تجارياً هاماً اجتذبت تسالونيكى الكثير من أثرياء الرومان وعدداً ليس بقليل من تجار اليهود (أع ١٧: ٤)، فكان فيها مجمع هذا ومن جـــانب آخر اشتهرت بالشر والخلاعة، لهذا التزم الرسول بولس بالحديث عن الحياة الطاهرة (١ تس ٤: ١ – ٨).

قبولها الإيمان :

زار الرســـول بولس مدينة تسالونيكى للمرة الأولى فى رحلته الثانية حوالى عام ٥٢م، وكان بصحبته سلوانس (١) وتيموثاوس (أع١٧: ١ – ١٠).

يكتب الرسول بولس إلى كنيسة تسالونيكى المتألمة، حيث قاست الأمرين من اليهود واليونانيين (الأمم)، ليسحب قلبها بالروح القدس إلى الحياة الداخلية والعمل الكرازى المفرح عوض انشغالها بأحداث الضيق الخارجى، ويفتح بصيرتها لترى مجئ الرب الأخير، فتنتظره متهللة ومسبحة وهى وسط أتون الألم. إنه يحثها على الجهاد الروحى الإيجابى، فلا ترتبك بالأحداث الزمنية المحيطة بها بل ترتفع بالروح القدس لتتهيأ بالقداسة والحب الحقيقى للعرس السماوى.

حقاً ما أحوج المؤمن ألا يرتبك بالضيقات، سواء النابعة عن إغراءات العالم وضيقاته أو متاعب الجسد وحرب الشيطان، ليحيا بقوة الروح ، عاملاً لحساب ملكوت السموات فى حياته الداخلية كما فى حياة الآخرين.

يناير ١٩٨٢

القمص تاوضروس يعقوب ملطى

جاء إليها بعد طرده من فيلبى، وقد اتجه كعادته إلى اليهود يحاججهم فى مجمعهم ثلاثة سبوت من الكتب، وجذب إلى الإيمان بعضاً من اليهود وجمهوراً من اليونانيين المتعبدين، أى اليونانيين الذين صاروا يهوداً، ومن النساء المتقدمات أو اللاتى كن من الطبقات الراقية ومن الكريمات هؤلاء صاروا نواة الكنيسة المسيحية بتسالونيكى.

كتب الرسول بولس إلى أهل فيلبى يقول : "فإنكم فى تسالونيكى أيضاً أرسلتم إلىَّ مرة ومرتين لحاجتى" فى ٤: ١٦ هذا يكشف عن عدم اعتماده على أهل تسالونيكى مالياً، كما استشف البعض من هذه العبارة أن الرسول بقى هناك فترة أطول من ثلاثة أسابيع، خاصة ما ورد فى (١تس ٢: ٧ – ١١) عن الجهد الذى بذله فى خدمتهم والرعاية والسهر ليل نهار من أجلهم، فقدر البعض مدة بقائه فيها بستة شهور (٢)، بينما يرى آخرون أنها لم تزد عن شهر واحد.

تاريخ كتابتها :

غالباً قرب نهاية عام ٥٢م أو فى بداية عام ٥٣م، أى بعد خدمته فى تسالونيكى بفترة قصيرة جداً، كتبها إليهم وهو فى كورنثوس.

غايتهـــا :

إذ نجحت خدمة الرسولين بولس وسيلا هناك بين اليهود فى فترة وجيزة "غار اليهود غير المؤمنين واتخذوا رجالا أشراراً من أهل السوق وتجمعوا وسجسوا المدينة وقاموا على بيت ياسون طالبين أن يحضروهما إلى الشعب، ولما لم يجدوهما جروا ياسون وأناساً من الإخوة إلى حكام المدينة صارخين أن هؤلاء الذين فتنوا المسكونة حضروا إلى ههنا أيضاً" (أع ١٧: ٥ – ٧). كان الاتهام الموجة ضد الرسولين أنهما يسببان فتنة على مستوى المسكونة، وأنهما يعملان ضد حكام قيصر (أع ١٧: ٧)، الأمر الذى أزعج

الجمـــع وحكام المدينة، لهذا ترك الرسولان تسالونيكى وانطلقا إلى بيريه، وقـــد الـــتزما أيضاً بترك بيريه بسبب مقاومة اليهود الذين تتبعوا آثارهم، فذهب بولس إلى أثينا (أع ١٧: ١٥) ومنها إلى كورنثوس (أع ١٨: ١).

لقـــد نجحت الخدمة فى تسالونيكى بين اليهود والأمم، وكما هاج اليهود على اخوتهم الذين أمنوا، هكذا هاج أيضاً الأمم على اخوتهم من الأمم الذين قبلوا الإيمان بالسيد المسيح لقد عانت الكنيسة الكثير من الضيق من اليهود كمـــا مـــن الأمم، وقد اشتدت الضيقة جداً وتوقع المؤمنون عودة الرسول لمســـاندتهم، لكنه أرسل إليهم تلميذه تيموثاوس لتثبيتهم على الإيمان، الأمر الـــذى دفع بعض المغرضين إلى التشكك فى أبوته، فاضطر أن يكتب إليهم ليعلن لهم أشواقه القلبية نحوهم ورغبته فى الحضور إليهم معلناً لهم صدق أبوته.

هـــذا ومـــن ناحية أخرى أراد برسالته هذه أن يسحب قلب الكنيسة من الارتـــباك فى الأحـــداث الأليمة التى كانت تعيش فيها إلى الفرح الروحى الداخلى من أجل عمل نعمة الله فيهم.

ولكى يسندهم وسط آلامهم المرة تحدث عن القيامة من الأموات وقرب مـــجئ الـــرب الأخيـــر فتستريح نفوسهم لا من آلام الحياة الحاضرة وإنما بتمـــتعها بالأحضـــان الأبويـــة، مشجعاً إياهم على الجهاد الروحى بالحياة المقدسة المملوءة حباً مترجين الإكليل الأبدى والعرس السماوى المفرح.

أقسام الرسالة :

١ – مقدمة الرسالة	١ : ١
٢ – نجاح الكنيسة فى تسالونيكى	١ : ٢ – ١٠
٣ – أبوة الرسول	٢ : ١ – ١٢
٤ – تألم الكنيسة	٢ : ١٣ – ١٦
٥ – شوق الرسول نحوهم	٢ : ١٧ – ٢٠
٦ – إرسال تيموثاوس إليهم	٣ : ١ – ٥
٧ – تقرير تيموثاوس عنهم	٣ : ٦ – ١٣
٨ – تثبيتهم فى القداسة	٤ : ١ – ٨
٩ – تثبيتهم فى المحبة	٤ : ٩ – ١٢
١٠ – النظرة إلى الراقدين	٤ : ١٣ – ١٨
١١ – انتظار الرب	٥ : ١ – ١١
١٢ – وصايا ختامية	٥ : ١٢ – ٢٨

الأصحاح الأول

نجاح الكنيسة فى تسالونيكى

اعتاد الرسول بولس أن يبدأ رسائله بإبراز الجوانب الطيبة لتشجيع من يكتب إليهم، فلا يتحدث عن المشاكل أو الضعفات مهما تفاقمت أو بلغت خطورتها إلا بعد أن يشجع، فاتحاً باب الرجاء أمام الجميع. وهنا إذ يكتب إلى كنيسة تئن من الضيق يعلن فى وضوح عن نجاحها فى حياتها الإيمانية العملية وشهادتها للسيد المسيح أمام كنائس أخرى.

١ – مقدمة الرسالة ١

٢ – نجاح الكنيسة

أ – شكره لله على نجاحهم ٢

ب – إيمانهم ورجاؤهم ومحبتهم ٣ – ٦

جـ – صيرورتهم قدوة للجميع ٧ – ١٠

✝✝✝✝✝✝✝✝

١ – مقدمة الرسالة :

"بولس وسلونس وتيموثاوس إلى كنيسة تسالونيكى فى الله الآب والرب يسوع المسيح.

نعمة وسلام من الله أبينا والرب يسوع" ع ١

ليس للرسول بولس مقدمة ثابتة يفتتح بها كل رسائله، وإنما يكتب لكل رسالة المقدمة التى تناسبها. وهنا إذ يكتب إلى كنيسة تئن من الضيق، نلاحظ فى مقدمته الآتى :

أ – يذكر الرسول اسمه " بولس" دون الإشـــارة إلى لقبه الرسولى، لأن

الإنسان فى وسط الضيق يود أن يجد الكل حوله بلا ألقاب ولا كلفة، إنما بروح الصداقة الأخوية يتحدث معهم. ولعله لذات السبب يضم إلى اسمه سلوانس وتيموثاوس كأنهما شريكان معه فى كتابة الرسالة مع أنه هو الكاتب لها وحده. لقد أراد فى اتضاع أن يؤكد للمؤمنين أنه ليس وحده يحمل إليهم مشاعر الحب والحنو وسط ضيقتهم وإنما يشاركه فى ذلك كل من اشترك فى خدمتهم.

ياله من راع محب مملوء إتضاعاً، يدخل وسط الحملان كحمل معهم يشاركهم آلامهم، لا ليربطهم به شخصياً لحساب كرامته الخاصة، وإنما ليعلن لهم محبة كل راع فيلمسوا محبة المسيح لهم فيه كما فى غيره!

ب – يوجه الكاتب رسالته "إلى كنيسة التسالونيكيين" فى الله الآب والرب يسوع"، فقد ضمت الكنيسة الحديثة فى ذلك أعضاء من اليهود كما من الأمم، لكن الكل صار كنيسة واحدة، بدخولهم فى "الرب يسوع المسيح" كجسده الواحد المقدس، لتجد لها موضعاً فى الله الآب، لأنه حيث يوجد الابن تكون معه كنيسته فى الأحضان الأبوية. وكما يقول السيد : "حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً.... ليس أحد يأتى إلى الآب إلا بى" يو ٤: ٣، ٦

جـ – يلقب الرسول الله "أبانا"، فالمؤمنون محتاجون فى ضيقتهم إلى التمتع بأبوة الله الحانية، وإدراك اهتمامه بخلاصهم ومن ناحية أخرى إذ يكتب الرسول فى صلب رسالته عن أبوته لهم أراد فى المقدمة أن يؤكد أبوة الله نفسه التى هى مصدر كل أبوة روحية وجسدية.

د – يطلب لهم الرسول النعمة والسلام، فإن السلام الحقيقى الداخلى لا يتحقق برفع الآلام التى تحل بنا وإنما بتمتعنا بنعمة الله الخفية، ففى وسط الضيق يحاصر الإنسان بأفكار قاتمة قادرة على تحطيم سلامه الداخلى، لكن نعمة الله تستطيع أن ترفع الفكر فوق الأحداث، وتسنده ضد كل هجوم

فيمتلئ بسلام إلهى فائق. عندئذ ينفتح لسان القلب الداخلى ليرنم، قائلاً : "عند كثرة همومى فى داخلى تعزياتك تلذذ نفسى".

٢ – نجاح الكنيسة

إذ كانت الكنيسة محاصرة بالضيق من اليهود كما من الأمم سحب الرسول فكرها بالروح القدس إلى النجاح الذى حققته فى حياتها الروحية بالرب، فحدثها عن أمور ثلاث :

أ – شكره لله على نجاحهم، وصلاته من أجلهم (ع٢).

ب – ابرز الجوانب الطيبة فى حياتهم (ع ٣ – ٦).

جـ – صيرورتهم قدوة للجميع (ع ٧: ١٠).

أ – شكره لله على نجاحهم وصلاته من أجلهم :

"نشكر الله كل حين من جهتكم ذاكرين إياكم فى صلواتنا" ع٢. إذ يرى الرسول نجاح كنيسة التسالونيكيين الناشئة يقدم هو ورفيقاه – القديسان تيموثاوس وسيلا – الشكر لله فى كل حين، كما يصلون من أجلهم ليزدادوا نمواً. حقاً إنه راع حكيم لا تسحبه الآلام عن النظر إلى النفع الروحى للمتألمين، لهذا وإن كان يئن معهم مشاركاً إياهم آلامهم لكنه فى نفس الوقت يقدم الشكر لله من أجل البركات الروحية التى ينعمون بها وسط ضيقتهم. بهذه الكلمات أيضاً يرفع الرسول شعبه فوق الآلام الخارجية، الأمر الذى كما أظن كان غاية هذه الرسالة ومن ناحية أخرى يؤكد لهم أن سَّر كل بركة روحية ونجاح فى حياتهم هو الله نفسه، رافعاً إياهم نحو الاتضاع، وأخيراً فإنه إذ يذكرهم فى صلواته يعلن صدق حبه لهم.

ب – إيمانهم ورجاؤهم ومحبتهم :

يحول الرسول بولس أنظار شعبه عن التفكير فى الأحداث الجارية إلى

التأمل فى عمل نعمة الله داخلهم خلال الإيمان والرجاء والمحبة، إذ يقول : "**متذكرين بلا انقطاع عمل إيمانكم وتعب محبتكم وصبر رجائكم ربنا يسوع المسيح أمام الله وأبينا**" ع ٣. كأنه يسألهم ألا ينشغل فكرهم فى شئ غير هذه الأمور، متذكرين بلا انقطاع عمل الله فيهم خلال أعمال إيمانهم وتعب محبتهم وصبر رجائهم. إنه يود أن يتأملوا على الدوام فى الإيمان والمحبة والرجاء لا خلال مفاهيم نظرية عقلية بحتة وإنما كما يعيشونها عملياً، ناسباً للإيمان العمل، وللمحبة التعب وللرجاء الصبر.

ماذا يقصد بقوله "**عمل إيمانكم**" ؟ يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : "من يؤمن يحتمل الكثير، فإن إيمان الإنسان يظهر خلال أعماله. لهذا بحق يقال أن الإيمان ليس أمراً مجرداً، وإنما يعلن خلال أعمالكم وثباتكم وغيرتكم" (٣).

ويتحدث **القديس يوحنا الذهبى الفم** عن "**تعب المحبة**"، قائلاً "أى تعب هو للمحبة؟.. حينما تثور آلاف الأمور لتسحبنا بعيداً عن المحبة، فنقف نحن أمام جميعها، أفلا يحسب هذا تعباً؟! "(٤).

لعل الرسول يشير بقوله "تعب محبتـــكم" إلى ما ورد فى سفر الأعمـــال (١٧ : ٥، ٦) عن ياسون وأهل بيته كيف احتملوا الكثير من أجل محبتهم للرسولين بولس وسيلا، ومن أجل محبتهم للإنجيل، عندما ثار الأشرار عليهم وقدموهم أمام حكام المدينة.

أخيراً إذا لم يتوقف الضيق الذى حلَّ بالكنيسة منذ بدء انطلاقها بل استمر حتى بعد ترك الرسولين للمدينة واجهت الكنيسة الناشئة حديثاً بصبر من أجل رجائها فى الملكوت وانتظارها لعريسها الحقيقى ربنا يسوع المسيح، لهذا يكمل الرسول : "وصبر رجائكم ربنا يسوع المسيح أمام الله وأبينا.

هذه هى الأمور الثلاثة التى من أجلها يقدم الرسول الشكر لله، والتى يركز الرسول أنظاره عليها أثناء صلواته عن هذه الكنيسة : عمل إيمانهم،

تعب محبتهم، صبر رجائهم. هذه الأمور الثلاثة فى الحقيقة تمثل وحدة واحدة لا يمكن تقسيمها أو فصلها عن بعضها البعض، فإن كان الإيمان بكلمة الحق يدفع المؤمن للعمل لحساب الملكوت الأبدى، فإنه يفتح القلب بالحب لله والناس فيشتهى المؤمن لا أن يعمل بل يتعب، مسرعاً بنفسه إلى الصليب عوض الراحة الزمنية، وإذ ينفتح قلبه بالحب يرى السموات كأنها معلنة قدامه فيترجى التمتع بكمال مجدها، فلا يئن من الضيق والتعب بل يحمل صبر المسيح الذى "من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزى" عب ١٢: ٢ حقاً إنه تأتى الأبدية فيزول الإيمان إذ نرى الله وجهاً لوجه، وينتهى الرجاء إذ ننعم بما كنا نترجاه، لكنه تبقى المحبة التى لا تسقط أبداً (١كو ١٣: ٨)، هذه التى قامت على أساس الإيمان وانطلق لهيبها خلال الرجاء، وفى بقاء الحب الأبدى تكريم للإيمان وتتويج للرجاء!

أما سرّ نجاح مؤمنى تسالونيكى وتمتعهم بالإيمان الحىّ والمحبة والرجاء اختيار الله لهم كأولاد له، إذ يقول الرسول "**عالمين أيها الاخوة المحبوبون من الله اختياركم**" ع ٤. وكأن الرسول يؤكد لهم أن سرّ القوة فيهم وسط آلامهم ليس منهم بل من الله الذى أحبهم ويحبهم... إنه العامل فيهم من أجل اختياره لهم وهكذا بقدر ما خشى الرسول لئلا يتحطموا بسبب ثقل الضيقات المحيطة بهم وبه فكان يحدثهم عن نجاحهم الروحى مفتخراً بهم، كان حريصاً أيضاً لئلا يسقطوا فى الكبرياء بسبب صبرهم على التجارب فكان يوجه أنظارهم نحو الله الذى أحبهم أولاً، لأنه اختارهم، ولا يزال يعمل فيهم حتى يدخل بهم إلى أمجاده. ما أحوج الكنيسة إلى الراعى الحكيم الذى يسند شعب الله بالكلمات المفرحة التى تبعث فى النفوس الرجاء والثقة، وفى نفس الوقت بلا تملق أو مداهنة يوجههم إلى الله الذى وحده سرّ نجاحهم ونموهم؟!

ولعل كلمات الرسول "عالمين أيها الاخوة المحبوبون من الله اختياركم"

يقصد بها الكشف عن سرّ حب الرسول نفسه لهم وجهاده من أجلهم. كأنه يقول : إن كان الله يحبكم وقد اختاركم أولادا له، فهل أكف عن العمل ليلاً ونهاراً فى خدمتكم لتحقيق غاية الله فيكم ؟! هذه هى نظرة الراعى الحكيم للخدمة، فإنه لا يعمل فى كرم بشرى لحساب الناس، لكنه يخدم البشرية خليقة الله المحبوبة لديه والتى يشتهى الله خلاصها والدخول بها إلى أمجاده الأبدية، فيعمل لحساب الله، ومن خلاله وبإمكانيات الله !

إدراك الرسول بولس حب الله لهم واختياره لهم جعل كرازته لهم ليست مجرد كلمات ينطق بها أو فلسفة يقدمها لهم وإنما بالحق قوة قادرة على تجديد حياتهم فدخل إليهم بالروح القدوس فى يقين شديد أن الله يعمل فيهم. وكما يقول الرسول : **"إن إنجيلنا لم يصر لكم بالكلام فقط بل بالقوة أيضاً وبالروح القدس وبيقين شديد كما تعرفون أى رجال كنا بينكم من أجلكم"** ع ٥. وكأن الرسول بولس يؤكد لهم أن حب الله لهم واختيارهم من قبله قدم له ثلاث إمكانيات للعمل بينهم : "القوة، الروح القدس، اليقين الشديد" ، هذه الإمكانيات هى سر نجاحه.

لقد انطلق إليهم يحمل "القوة" أى قوة الإنجيل للخلاص. الله الذى أختارهم قدم لهم الخلاص بقوة خلال الصليب أو الإنجيل، فجاء الرسول مختفياً فى هذا الصليب داخل الإنجيل، فلم يقدم لهم كلمات مجردة بل سرّ الحياة الجديدة القوية خلال الصليب. لم يدخل إليهم هزيلاً، بل تسلح بالإنجيل القادر أن يأسر الإنسان فى الحب الإلهى ويدخل به إلى ملكوت الله، ليحيا كابن لله بقوة الروح.

حب الله للمؤمنين واختياره لهم قد سلحاه بقوة إنجيل الخلاص وقدما له روح الله القدوس لكى يعمل فيه للخدمة والكرازة. لقد دخل إليهم بالروح القدس، الذى وحده يقدر أن يعلن محبة الآب المتجسدة فى تقديم ابنه فدية

عنا. حقاً إن الإنجيل هو قوة الكارز فى تحقيق رسالته، لكن لا يقدر الكارز أن يعمل إلا بالروح القدس الذى يجتذب النفوس بقوة إلى دائرة الصليب وينطلق بها إلى المصالحة مع الله فى ابنه، ويدخل بها إلى الحياة الجديدة على المستوى السماوى.

أخيراً فإن إدراك الرسول لاختيارهم بواسطة الله جعله يدخل إليهم "بيقين شديد"، مطمئناً أن خلاص البشر يشتهيه الله نفسه ويعمل على تحقيقه إنه مطمئن، وفى رجاء أن الله يحقق غايته خلال كرازته. أقول أن سرَّ قوة الرسول بولس نظرته المملوءة رجاء حتى فى وسط الضيقات الخارجية أو الداخلية. إن هاج اليهود أو الأمم أو قامت انقسامات وانشقاقات فإن الرسول يثق أن الله قادر على العمل لتجديد الخليقة. إنه يعمل بغير تشاؤم ولا يأس مهما كانت الظروف !

يقول الرسول بولس : **"كما تعرفون أى رجال كنا بينكم من أجلكم"** ع٥. وكأنه يقول أن جهادنا وسط الآلام ورعايتنا لكم ليلاً ونهاراً والتهاب قلبنا بالعمل الكرازى وسطكم يشهد كيف كنت متسلحاً بالقوة والروح القدس واليقين الشديد، ولكن الفضل ليس لى وإنما لكم إذ أنتم موضوع حب الله واختياره. وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : "(حديثه) هنا يمس أعمالهم الصالحة بطريقة خفية، فإنه يرغب فى تضخيم مديحهم. وكأنه يقول : إنى أعرف أنكم عظماء وشرفاء، إذ أنتم مختارون، لهذا نحتمل كل شئ من أجلكم. فقوله "أى رجال كنا بينكم من أجلكم" هو تعبير ينطق به من يظهر غيرة عظيمة ونشاطاً زائداً. إننا مستعدون أن نقدم حياتنا من أجلكم، ومع هذا فالشكر واجب لكم وليس لنا، لأنكم مختارون. ولهذا يقول فى موضع آخر : "أنا أصبر على كل شئ لأجل المختارون" ٢ تى ٢: ١٠، فإنه أى شئ لا يحتمله الإنسان من أجل محبوبى الله ؟! (٥).

أما الذى يفرح قلب الرسول فهو امتثالهم به بل وبالرب نفسه فى احتمالهم الألم بفرح، إذ يقول : **"وأنتم صرتم متمثلين بنا وبالرب إذ قبلتم الكلمة فى ضيق كثير بفرح الروح القدس"** ع٦. ويعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** : "ياللعجب! أى مديح هذا، فقد صار التلاميذ معلمين فجأة ! فإنهم لم يسمعوا الكلمة فحسب وإنما بسرعة ارتفعوا إلى علو بولس. إنه يمدحهم قائلاً : قبلتم الكلمة فى ضيق كثير بفرح الروح القدس"، قبلوها ليس فى ضيق فحسب وإنما فى ضيق كثير. هذا ما يخبرنا به سفر أعمال الرسل كيف ثار الاضطهاد ضدهم (أع ١٧ : ٥ – ٨)، فقد هيج (الأشرار) كل حكام المدينة ضدهم، وأثاروا المدينة عليهم. ولم يقف الأمر عند تألمهم وإيمانهم وحزنهم وإنما فرحوا، الأمر الذى فعله الرسل، إذ قيل عنهم أنهم (ذهبوا) "فرحين لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه" أع ٥: ٤١. هذا هو العجب، فإن احتمال الضيقات ليس بالأمر الهين، ومع ذلك نجد بعضاً من البشر وقد تعدوا حدود الطبيعة البشرية، وكأنهم بلا جسد يتأثر بالألم ! ولكن كيف كانوا ممتثلين بالرب ؟ لأنه احتمل آلاماً كثيرة بفرح، متقدماً إليها بإرادته، فمن أجلنا أخلى ذاته، وإذ كان الوقت يقترب لكى يبصق عليه ويضرب ويصلب، كان يفرح باحتماله هذه الأمور، قائلاً للآب: "مجدنى (يو ١٧ : ١ – ٥).. ولكى لا يقول أحد : كيف يتحدث عن الضيق والفرح معاً ؟ كيف يلتقى الاثنان معاً ؟! لهذا يضيف : "بفرح الروح القدس". فيتحقق الضيق فى الأمور الجسدية أما الفرح ففى الروحيات، كيف ؟ الأمور التى حدثت لهم مؤلمة، لكن الروح لا يتركهم. لهذا يمكن لمن يتألم ألا يفرح إن كان ذلك بسبب خطاياه، ويمكنه أن يكون مبتهجاً إن تألم من أجل المسيح. هذا هو فرح الروح. فما يبدو محزناً يلد بهجة! يقول الرسول أنهم يضايقونكم ويضطهدونكم ولكن الروح لا ينساكم حتى فى هذه الظروف وكما أن الثلاثة فتية فى النار تمتعوا بالندى هكذا أنتم تتنعشون فى

الضيقات. حقاً إنه ليس من طبيعة النار أن تمطر ندى...هكذا ليس من طبيعة الضيق أن ينتج فرحاً، لكن الروح يلطف الألم متى كان من أجل المسيح، ففى أتون النار يكون (المؤمنون) فى راحة" (٦).

لقد وعدنا السيد بالألم لكن ليس بدون الفرح، إذ يقول : "فأنتم كذلك عندكم الآن حزن، ولكن سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم... قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فىَّ سلام. فى العالم سيكون لكم ضيق، ولكن ثقوا (افرحوا) أنا غلبت العالم" ١٦ : ٢٢، ٣٢.

جـ - صيرورتهم قدوة للجميع :

"حتى صرتم قدوة لجميع الذين يؤمنون فى مكدونية وفى آخائية" ع ٧. لقد آمنت مكدونية بالسيد المسيح قبل تسالونيكى، لكن الأخيرة صارت مثالاً وقدوة للأولى. لقد صارت كمعلمة ليس لغير مؤمنين بل لمؤمنين سبقوهم فى الإيمان. فى وقت قصير قبلت تسالونيكى الإيمان وصارت مثلاً حياً ليس فقط لمكدونية التى فى الشمال والتى تعتبر تسالونيكى من أهم مدنها وإنما أيضاً لآخائية فى الجنوب. وكأن أثرها قد امتد شمالاً وجنوباً.

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على هذه العبارة، قائلاً : "ليته لا ييأس أحد قط حتى وإن كان قد أضاع زماناً طويلاً دون أن يفعل شيئاً، فإنه يستطيع فى وقت قصير جداً يحقق الكثير مما لم يسبق له عمله فى الماضى. إن كان الذين لم يكونوا قبلاً قد صاروا هكذا مشرقين منذ بداية إيمانهم فكم بالحرى يمكن للذين كانوا مؤمنين من قبل أن يفعلوا هكذا ؟!" (٧).

يكمل القديس بولس حديثه عن فاعلية حياتهم الجديدة وإيمانهم الممتدة فى كل موضع، إذ يقول : **"لأنه من قبلكم قد ائيعت كلمة الرب ليس فقط فى مكدونية وآخائية بل فى كل مكان أيضاً قد ذاع إيمانكم بالله، حتى ليس لنا حاجة أن نتكلم شيئاً، لأنهم هم يخبرون عنا أى دخول كان لنا إليكم وكيف رجعتم إلى الله**

من الأوثان لتعبدوا الله الحى الحقيقى وتنتظروا ابنه من السماء الذى أقامه من الأموات يسوع الذى ينقذنا من الغضب الآتى" ع ٨ – ١٠.

وللقديس يوحنا الذهبى الفم تعليق جميل على هذه العبارات، إذ يقول: "كما أن الطيب الذكى الرائحة لا يحتفظ برائحته الكامنة فيه، وإنما ينشرها إلى مسافات بعيده، معطراً الهواء بنسماته، فيتقبله الجيران، هكذا أيضاً بمشاهير الناس وعظماؤهم لا يغلقون على فضائلهم فى داخلهم وإنما يربحون بسمعتهم الطيبة الكثيرين ويحولونهم إلى حياة أفضل. هذا هو ما حدث هنا... وكأنه يقول لهم : لقد أشبعتم جيرانكم بالتعليم وملأتم العالم بالدهشة!" (٨).

إن قوله "قد أذيعت" إنما يعبر عن نوع من القوة الروحية لإيمانهم وحيويته" فقد سمع العالم بإيمانهم، كأنه قد أذيع للجميع ولم تعد هناك حاجة إلى حديث الرسول عنه، إذ يقول : "حتى ليس لنا حاجة أن نتكلم شيئاً" كانت حياتهم الإيمانية العملية تحمل شهادة داخليه، وكأنهما بوق عالٍ يدوى لا فى الولايات المحيطة بها فحسب وإنما على مسافات متباعدة جداً، وقد سمع صوته "فى كل مكان". لقد كان الرسول يود أن يتحدث عنهم كمثال حىٍ يشهد به عن عمل الله فى الإنسان، لكن الذين رأوهم فى قوة حياتهم شهدوا لهم مبوقين فى كل موضع، وكأنهم قاموا بالرسالة التى اشتهى الرسول أن يتممها !

ماذا يقصد بقوله : **"لأنهم هم يخبرون عنا أى دخول كان لنا إليكم؟"** لعله أراد أن يعلن لهم أن حياتهم الروحية المجيدة وسط الضيقات والآلام لم تذع مجدهم الروحى فحسب وإنما أيضاً قدمت تطويباً للرسول نفسه، فصار الكل يتحدثون عن دخوله إليهم ومعه سيلا، وكيف خدما هناك وحولا هؤلاء الرجال إلى الإيمان الحى بالله القادر أن يقيمهم من الموت إلى الحياة.

ويرى القديس يوحنا الذهبى الفم أن هذا التعبير إنما يوضح دخول السيد إليهم وسط مخاطر وميتات كثيرة قبلها بفرح وها هم الآن يحملون المخاطر كما سبق فاحتملها الرسول... أما سر احتمال الألم بفرح سواء بالنسبة للرسول أو لهم فهو إيمانهم بالقائم من الأموات.

هنا يوجه الرسول أنظارهم وهم وسط الضيق إلى الآب السماوى الذى أطاعه الابن نيابة عنا محتملاً الموت، فأقامه بالإرادة، أما الابن فقام بقوته وسلطانه كقوله : "لى سلطان أن أضعها ولى سلطان أن آخذها (يو ١٠: ١٨).

الأصحاح الثانى

أبوة الرسول للمتألمين

كان أهل تسالونيكى وسط آلامهم فى حاجة إلى التلامس مع أبوة الرسول الروحية الحانية، لذلك كتب إليهم يفيض عليهم بحنو فائق نابع من القلب، مؤكداً لهم أنه يشعر معهم بآلامهم ولا يتجاهل مشاعرهم، مؤكداً لهم مدى اشتياقه إلى الحضور إليهم ليكون قريباً منهم بالجسد كما بالقلب فى هذه الفترة القاسية.

١ - أبوة الرسول	١ - ١٢
٢ - تألم الكنيسة فى تسالونيكى	١٣ - ١٦
٣ - شوق الرسول إليهم	١٧ - ٢٠

✝✝✝✝✝✝✝✝

١ - أبوة الرسول

إذا أراد الرسول أن يكشف لهم عن صدق أبوته لهم فى المسيح يسوع أكد لهم أنه لا ينطق بكلمات جوفاء للتملق، إنما ينطلق من أتعاب إلى أتعاب من أجل المجاهرة بكلمة الإنجيل فى كل موضع فى أبوة روحية صادقة، قائلاً : **"لأنكم أنتم أيها الاخوة تعلمون دخولنا اليكم انه لم يكن باطلا بل بعدما تألمنا قبلا وبغى علينا كما تعلمون فى فيلبى جاهرنا فى إلهنا أن نكلمكم بإنجيل الله فى جهاد كثير"** ع١، ٢. وكأنه يعود بذاكرتهم إلى خدمته فى فيلبى قبل مجيئه إليهم (أع ١٦) حيث احتمل تمزيق ثيابه والضرب بالعصى وإلقاءه فى السجن الداخلى وربط رجليه فى المقطرة (أع ١٦ : ٢٤)، وكان يمكنه أن يدافع عن نفسه بكونه رومانياً لكنه فضل أن يحتمل من أجل المناداة بالإنجيل. فكرز لحافظ السجن وبيته. وحينما التزم بالمجئ

إليهم لم يكن ذلك هرباً من الضيق الذى حلَّ به فى فيلبى، وإنما جاء يجاهر بكلمة الإنجيل "فى جهاد كثير".

وإن كانوا هم يعانون من الألم بسبب حق الإنجيل، فإنه وهو أبوهم الروحى تألم أيضاً من أجل الكرازة بالإنجيل، حاسباً أن احتماله للآلام والإهانات علامة حية على دخوله إليهم للكرازة بالأخبار السارة الإلهية بطريقة فعالة. لقد أكد لهم أن دخوله إليهم لم يكن باطلاً، إذ تألم قبلاً واحتمل الظلم فى فيلبى ومع ذلك لم يتوقف عن الجهاد المستمر من أجل الكرازة.

يقول الأب غريغوريوس (الكبير) "أعلن للكارز القديس أن دخوله كان يحسب بلا فاعليه لو لم يعامل معاملة سيئة، أما أنت فترفض احتمال الشرور" (٩).

كأن الرسول يجعل من احتمال الآلام والظلم علامة رئيسية على صدق رسالته وفاعلية كرازته بالإنجيل الإلهى.

وفى أبوته العملية خلال إنجيل الله احتمل الآلام ليعلن كلمة الله من أجل الله وليس إرضاء للناس، إذ يقول : **"لأن وعظنا ليس عن ضلال ولا عن دنس ولا بمكر، بل كما استحسنا من الله أن نؤتمن على الإنجيل هكذا نتكلم لا كأننا نرض الناس بل الله الذى يختبر قلوبنا"** ع ٣، ٤. وكأنه يقول لأولاده : "إذ أؤمن برسالة الإنجيل كعمل إلهى قدمته إليكم وسط الآلام الكثيرة، لهذا لاق بكم وقد عرفتم الإنجيل أن تقبلوه أنتم أيضاً وسط الآلام. لقد اؤتمنت على الإنجيل عن حق بلا ضلال ولا دنس وفى غير مكر، وأنتم تتلمذون علىَّ لتحملوا ذات الروح".

وإن كانت الآلام المستمرة من الخارج والجهاد الشخصى الكثير علامة فاعلية رسالته الإنجيلية، فإن صدق رسالته إنما ينبعث عن إعلانه الحق "بغير ضلال"، فى حياة مقدسة "بلا دنس"، بقلب محب "بلا مكر" لكى يكون الوعظ إنجيلاً إلهياً حياً يليق بمن يقدمه أن يحمل هذه الشروط الثلاثة :

الحق والقداسة والحب!

أما أن تسرب الضلال (الهرطقة) أو الدنس أو المكر إليه فإنه يفقد عمله الكرازى ويشوه إنجيل الله. هذه الأمور الثلاثة خفية فى القلب يعرفها الله "الذى يختبر قلوبنا".

ويؤكد الرسول بولس أنه لا يكرز لإرضائهم ولا لإرضاء غيرهم بل الله نفسه مختبر قلبه، فهو لا يتألم بسببهم بل لأجل الله الذى دعاه للخدمة، مقدماً لهم الحق بحياة مقدسة خلال قلبه المتسع حباً... بكونه أباً لهم ليس خلال أبوة جسدية أرضية، وإنما أبوة فى الله أبيهم.

أبوته لهم فى الله تلزمه وسط الآلام أن يجاهد كثيراً ليقدم لهم حق الإنجيل بغير ضلال معلناً فى حياته التى بلا دنس ونابعاً عن قلبه الذى بلا مكر... فلا يطلب إلا العمل الإنجيلى فيهم دون انتظار مكافأة مادية أو معنوية. "**فإننا لم نكن قط فى كلام تملق كما تعلمون ولا علة طمع، الله شاهد. ولا طلبنا مجداً من الناس لا منكم ولا من غيركم مع إننا قادرون أن نكون فى وقار كرسل المسيح**" ع٥، ٦.

من حقه أن يكون له وقار كرسول للسيد المسيح، ويطلب من المؤمنين تكريمه، ويستخدم سلطانه، لكن الرعاية فى قلبه أولاً وقبل كل شئ أبوة لا تطلب ما لنفسها بل ما هو للآخرين! حقاً أمران يفسدان حياة الخادم أو الكارز : طلب مجد الذات والطمع. والأمر أن فى حقيقتهما هما تمركز حول الأنا، فيطلب الخادم ما لنفسه عوض ما للآخرين... ويأخذ عوض أن يعطى، ويخدم ذاته بالإنجيل عوضاً عن أن يخدم الإنجيل بحياته.

يشبه الرسول نفسه بالأم المرضعة التى تهتم برضيعها، فإنها تحنو عليه وتهتم به ليس بغية مجد زمنى ولا طمعاً فى مال وإنما حباً برضيعها. "**كنا مترفقين فى وسطكم كما تربى المرضعة أولادها، هكذا إذ كنا حاتين إليكم**

كنا نرضى أن نعطيكم لا إنجيل الله فقط بل أنفسنا أيضاً لانكم صرتم محبوبين إلينا" ع ٧، ٨.

إنه أب مملوء حنواً وترفقاً يعيش فى وسطهم. ويعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على التعبير "فى وسطكم" هكذا كأنه يقول : "إنى كنت كواحد منكم لا أتعالى" (١٠). ما أحوج الرعاة أن ينمو كل يوم ليبلغوا قامة ملء المسيح الذى حلّ فى وسط شعبه كواحد منا بلا تعالى ولا كبرياء! إن موضوع جهاد الراعى الحكيم إنما يكون لا فى التدريب على قوة للبيان والقدرة على الخطابة وإنما على دخوله وسط أولاده الروحيين كواحد منهم، يتدرب على استعباد نفسه لهم وغسيل أقدامهم، فيحمل روح الوالدية الروحية وتلتحم كلماته الكرازية بتقديم نفسه باذلاً كل حياته من أجلهم. وإن كان الله قد أعلن رعايته لأولاده بالحب خلال الكرازة بالصليب، فإن هذه الكرازة يكون لها فاعليتها حينما تلتحم برعاية الكارز أيضاً لهم فى الله مقدماً نفسه لخدمتهم فى الرب.

يقدم الرسول نفسه كمرضعة مملوءة حنوا على أطفالها الصغار بقلب متسع للجميع. يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : "ليس شئ أكثر اتساعاً من قلب بولس الذى أحب كل المؤمنين بكل غيرة. ولم تكن محبته جزئية ولا ضعيفة، بل كان يقدمها بكمالها لكل أحد، والعجيب أن محبته نحو المؤمنين هى بعينها لغير المؤمنين، فكان قلب بولس يحتضن العالم كله" (١١).

وقد جاءت كلمة "مترفقين" ع ٧. فى اليونانية بمعنى "رضع"، وقد ترجمها بعض الآباء هكذا فى كتاباتهم : "كنا كرضع فى وسطكم". وكأن الرسول بولس وهو يقدم نفسه كأم مترفقة بأطفالها الرضع تود أن تقدم حياتها لهم، إذا به يظهر فى وسطهم أيضاً كرضيع بين الرضع، معلناً بساطة تعامله معهم. حقاً إن المؤمنين محتاجون أن يروا رعاتهم فى

وسطهم يسلكون معهم بروح البساطة والوداعة بعيداً عن روح السلطة!

ونستطيع أن نرى الرسول بولس كحامل لسمات السيد المسيح، الذى صار جنيناً فى أحشاء العذراء مريم ليشارك الأجناء حياتهم، وصار رضيعاً ليفرح به الرضع ويقبلوا صداقته فتنطلق ألسنتهم الروحية بالتسبيح، وصار طفلاً ليرفع من شأن الطفولة جاذباً إليه الأطفال كأصدقاء له. هكذا إذ يرى الرسول بولس مخدوميه كرضع يحتاجون إلى حنو الأم المرضعة لا يتقدم لهم فقط بهذا الفكر ليحتضنهم ويقوّتهم. وإنما أيضاً صار كرضيع بينهم ليستريحوا إليه.

هذا وقد جاءت كلمة "تربى" فى عبارته "كما تربى المرضعة أولادها" بمعنى "تعطى دفئاً"، واستخدمت فى العهد القديم للتعبير عن احتضان الطير فراخه الصغار (تث ٢٢: ٦) حيث يشعر الفراخ بدفء حنو الأم. كما استخدمت فى العهد الجديد للتعبير عن علاقة السيد المسيح بكنيسته: "فإن لم يبغض أحد جسده قط بل يقوّته ويربيه كما الرب أيضاً للكنيسة" أف ٥: ٢٩. هكذا يحنو الرسول على شعب الله كأولاد له وكأنه الطير الذى يحتضن صغاره أو بالحرى من يحمل سمات سيده فى حنوه نحو الكنيسة واهتمامه بأمورها.

خلال هذا الحب الأبوى أو الوالدى فى الرب كان الرسول يقدم لهم إنجيل الله، لكى يختبروا حب الله العملى خلال الصليب فيقبلوا البنوة له قبل أن يكونوا أولاداً لبولس. لكن هذه الكرازة لم يقدمها بطريقة وعظية بحتة، إنما قدمها ملتحمة بعطائه كل ما يملك، إن أمكن حتى نفسه وكأنه يقول : إن كنت أقدم لكم إنجيل الله الذى يعلن تقديم الله ابنه فدية عنكم فإنى ككارز بهذا الإنجيل أحمل سمات سيدى فاقدم أنا أيضاً حياتى لأجلكم وإنجيلنا لكم ليس وعظاً وفلسفة لكنه حب إلهى عملى تستطيعون أن تلمسوه فىَّ عملياً خلال علاقتى بكم.

ويعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** : "كأنه يقول : كنا نريد لو أمكن أن نفنى نفوسنا من أجلكم.... حقاً إننا نعلن الإنجيل لأن الله أمر به، ولكننا

نحن أيضاً نحبكم حتى لو أمكننا أن نقدم نفوسنا لكم" (١٢). كما يقول: "يليق بمن يحب أن تكون محبته على مستوى أنه إن طلبت نفسه منه وأمكنه تقديمها فلا يرفض، لا أقول إن طلبت وإنما بالحرى يسعى بنفسه ليقدمها هدية. فليس شئ أعذب من الحب" (١٣).

وفى وضوح أكثر يتحدث الرسول عن أبوته العاملة قائلاً : "**فإنكم تذكرون أيها الأخوة تعبنا وكدنا، إذ كنا نكرز لكم بإنجيل الله ونحن عاملون ليلاً ونهاراً كى لا نثقل على أحد منكم. أنتم شهود الله بطهارة وببر وبلا لوم كنا بينكم أنتم المؤمنين. كما تعلمون كيف كنا نعظ كل واحد كالأب لأولاده ونشجعكم ونشهدكم لكى تسلكوا كما يحق لله الذى دعاكم إلى ملكوته ومجده**" ، ٩ – ١٢.

إن كان بولس الرسول كارز الأمم فى دول كثيرة، قد أحنى ظهره ليحمل أثقال الكنائس الناشئة واهتماماتها، لكنه كان يعمل بيديه نهاراً وليلاً حتى لا يثقل على أحد!! كأب يتعب فى الكرازة كما فى عمل اليدين حتى يريح أولاده ولا يثقل عليهم. وكما كتب إلى أهل كورنثوس يقول : "ألستم تعلمون أن الذين يعملون فى الأشياء المقدسة من الهيكل يأكلون، الذين يلازمون المذبح يشاركون المذبح. هكذا أيضاً أمر الرب الذين ينادون بالإنجيل من الإنجيل يعيشون. أما أنا فلم استعمل شيئاً من هذا، ولا كتبت هذا لكى يصير فىَّ هكذا، لأنه خير لى أن أموت من أن يعطل أحد فخرى" ١ كو ٩: ١٣ – ١٥.

بلا شك كان الرسول يتقبل العطايا أحياناً من الكنائس التى سبق أن كرز بها (فى ٤: ١٦)، وبمحبة كان يتقبل أحياناً دعوة المؤمنين لافتقاد بيوتهم أو الإقامة لديهم.. لكنه كان يمتنع بكل قلبه وطاقته عن الأخذ أثناء الكرازة بالإنجيل، حينما تكون الخدمة حديثة حتى لا يتعثر أحد فيه أو يتشكك فى أمره، ولكى لا يشعر هو أنه أثقل على أحد... فالإنجيل فى عينيه فوق كل

اعتبار، وخلاص كل نفس لديه فوق كل مصلحة!

وإن كان الرسول كأب يقدم حياته مبذولة، متنازلاً حتى عن حقوقه فى طلب الضروريات مهتماً بوعظهم وخدمتهم للدخول إلى ملكوت الله ومجده، فإن هذا الحب الأبوى يقوم على حياة الرسول المقدسة فى الرب، إذ يشهدهم كما يشهد الله نفسه كيف عاش وسطهم بطهارة وبر (عدل) وبلا لوم يشهدهم على التصرفات الظاهرة والمشاعر التى يتلمسونها فى حياته، ويشهد الله على أعماق قلبه الداخلية، أنه يسلك بالطهارة والبر وبلا لوم! ولعله قصد بالطهارة حياته، ويشهد الله على أعماق قلبه الداخلية، أنه يسلك بالطهارة والبر وبلا لوم! ولعله قصد بالطهارة حياته المقدسة فى علاقته بالله، وبالبر أو العدل حياته البارة فى علاقته بالآخرين، وأما "بلا لوم" فتعنى حياته الروحية الداخلية وأمانته مع نفسه. وكأن أبوته الباذلة تستند على حياته فى الرب سواء فى علاقته مع الله أو مع الآخرين أو مع نفسه وإن كان لا يمكن تقسيم الحياة الروحية إلى حياة مع الله وأخرى مع الناس وثالثة مع الإنسان نفسه فهى حياة واحدة متكاملة من كل الجوانب، لكن يمكننا أن نقول أن الرسول يقصد بكلماته هذه أن حبه الباذل لهم إنما هو جانب من جوانب حياته الجديدة فى الرب، والتى تتسم بالطهارة والبر وعدم اللوم، أو قل أن عمله الرعوى الأبوى إنما يتكامل مع حياته الروحية المقدسة فى الرب!

وبعد أن أعلن الرسول حبه الأبوى أو الوالدى بلا أنانية، وجهاده الكثير من أجل تمتعهم بالإنجيل، وسهره وتقديم حياته شهادة حق للإنجيل، عندئذ يتحدث عن وعظه لهم ليس فقط على المستوى الجماعى وإنما على مستوى كل عضو فيهم، بكونه الأب الذى لا يتجاهل إيناً من أولاده مهما بلغ عددهم، إذ يقول : "كما تعلمون كيف كنا نعظ كل واحد منكم كالأب لأولاده ونشجعكم، ونشهدكم لكى تسلكوا كما يحق لله الذى دعاكم إلى ملكوته ومجده" علاقته بالمؤمنين تقوم على أساس أبـــوى

(١ كو٤: ١٤، ٢كو ٦: ١٣، غلا ٤: ١٩، فل ١٠). خلال هذه الأبوة يجد راحته وفرحه وإكليله فى أن يتمتع كل أبنائه بالملكوت والأمجاد الأبدية وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : "لأنه بالنسبة للمعلم الحكيم، الحياة والراحة والتعزية إنما تكون فى نمو تلاميذه. فإنه لا شئ يكشف عن قدرته على التدبير مثل الحب الوالدى نحو أولاده. فإن الولادة وحدها لا تكفى لأن يكون الشخص أباً إنما وجود الحب أيضاً حتى بعد الولادة! فإن كانت الطبيعة تلزم وجود الحب لدى الأب فكم بالأكثر تكون الحاجة إليه خلال (الأبوة) بالنعمة ؟!" (١٤).

أخيراً ما أجمل كلمات الرسول "نعظ كل واحد منكم كالأب لأولاده" فقد كان قلب الرسول بولس ملتهباً نحو خلاص العالم كله، لكنه وسط تيارات الخدمة المتسعة واهتماماته بكل الكنائس ومشاكلها العامة كان الرسول يهتم "بكل أحد" ! أنه يحمل سمة سيده الذى فى أبوته للبشرية كلها ينقش اسم كل واحد منهم على كفه وكأنه الوحيد الذى يهتم به الله. وفى دراستنا لحياة **القديس يوحنا الذهبى الفم** رأينا كيف لم تشغله الآلاف من الجماهير التى تستمع لعظاته عن الاهتمام بكل عضو فى شعب الله له، هذه هى الأبوة الصادقة النابعة من الأعماق!

٢ – تألم الكنيسة فى تسالونيكى :

"حياة الألم جزء لا يتجزأ من كلمة البشارة أو إنجيل المسيح، يعيشها المسيحى كخبرة روحية يقتنيها خلال تمتعه بملكوت الفرح الداخلى. فمع الفرح الداخلى آلام فى الخارج، ومع كل نمو روحى حرب يثيرها الشيطان. وكأن الألم علامة حية على قبول الإنسان كلمة الخبر المفرح واتحاده مع المسيح المصلوب وتفاعله مع الحياة الإنجيلية يقول الرسول: **"من أجل ذلك نحن نشكر الله بلا انقطاع لأنكم إذ تسلمتم منا كلمة خير من الله قبلتموها لا ككلمة أناس بل كما هى بالحقيقة ككلمة الله التى تعمل**

أيضاً فيكم أنتم المؤمنين، فإنكم أيها الأخوة صرتم ممثلين بكنائس الله التى هى فى اليهودية فى المسيح يسوع لأنكم تألمتم أيضاً من أهل عشيرتكم تلك الآلام عينها كما هم أيضاً من اليهود، الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم واضطهدونا نحن" ع ١٣ - ١٥.

وكأن الدليل على أن الكلمة التى قبلوها من الرسول ليست كلمة بشرية بل هى كلمة الله أنهم احتملوا ذات الآلام التى عانت منها الكنيسة فى أورشليم وكل اليهودية حيث حملت سمة مسيحها المتألم عن اخوته بنى جنسه. فمؤمنوا تسالونيكى قبلوا الآلام أيضاً من بنى جنسهم، فقد هاج اليهود على اخوتهم اليهود الذين قبلوا الإيمان، والوثنيون على اخوتهم الذين آمنوا بالمسيح. إن ما تعانيه كنيسة التسالونيكيين من آلام إنما هو شركة حب مع مسيحها المتألم ومع بقية الكنائس المتألمة.

إن كان الألم يتحقق بسماح إلهى بالشركة المقدسة مع السيد المسيح المتألم، لكن هذا لا يبرر المتسببين فى الألم، إذ يقول : **"وهم غير مرضيين لله وأضداد لجميع الناس، يمنعوننا من أن نكلم الأمم لكى يخلصوا حتى يتمموا خطاياهم كل حين، ولكن قد ادركهم الغضب إلى النهاية" ع ١٥، ١٦.**

حقاً إن الله كضابط الكل يستخدم حتى شر الأشرار لتزكية الأبرار، فيخرج من الآكل أكلاً ومن الجافى حلاوة، لكن استخدام الله لهم لا يبرر موقفهم ولا يجعلهم موضوع رضى الله، وإنما "هم غير مرضيين لله". صار شرهم جزء من خطة الله لخلاص المختارين وتزكيتهم، لكنه لم يلزمهم بذلك، وكان يمكنه أن يستخدم وسائط أخرى لو لم يسلك هؤلاء بالشر. فالله لم يلزم يهوذا بالخيانة، وإنما إذ سبق الله فعرف شره وخطته استخدم هذا الشر فى تسليم السيد المسيح لجزء من خطة خلاصنا.

لا يقتنى الأشرار عداوة الله لهم بشرهم ومقاومة أولاده، وإنما أيضاً

يسقطون تحت عداوة جميع الناس، إذ هم "أضداد لجميع الناس" قد يصادقهم البعض ويشجعهم الآخرون على شرهم، لكن لابد للشر أن ينفضح فيفقد الشرير كل من حوله.

أخيراً فإن غاية الأشرار الثائرين فى تسالونيكى هو مقاومة كلمة الحق ومضاداة الإيمان الحىّ، لكنهم عوض أن يحققوا هدفهم "يتمموا خطاياهم كل حين". يريدون مقاومة كلمة الله، لكن كلمة الله لا تقيد، والمؤمنون يتزكون خلال هذه المقاومة، وفى نفس الوقت يمتلئ كيل الأشرار ليشربوا كأس العقاب الأبدى حتى النهاية. ما أعجب رعاية الله الذى يستخدم حتى شر الأشرار ليتمم إرادته فى المختارين ويعلن عدله فى المقاومين غير التائبين!

٣ - شوق الرسول إليهم

إن كان الرسول قد سحب قلب المؤمنين من الآلام الخارجية إلى الفرح بكلمة الله العاملة فيهم والبهجة بالشركة مع المسيح المتألم ومع الكنائس الأخرى المتألمة لكنه وسط هذه الانطلاقة الروحية العالية يكشف عن مشاعر الشوق الحقيقى التى تملأ قلبه نحوهم. إنه الإنسان الروحى الواقعى الذى يشتهى أن ينطلق مع اخوته إلى السموات عينها دون تجاهل للجانب الإنسانى والمشاعر والأحاسيس البشرية، إذ يقول : **"فإذ قد فقدناكم زمان ساعة بالوجه لا بالقلب اجتهدنا أكثر باشتهاء كثير أن نرى وجوهكم. لذلك أردنا أن نأتى إليكم أنا بولس مرة ومرتين، وإنما عاقنا الشيطان. لأن من هو رجاؤنا وفرحنا وإكليل افتخارنا؟! أم لستم أنتم أيضاً أمام ربنا يسوع المسيح فى مجيئه، لأنكم أنتم مجدنا وفخرنـــا"** ع ١٧ - ٢٠.

إنه كأب روحى حقيقى يشعر بوجودهم فى قلبه، إن كان قد حرم منهم زمانا يسيراً فلم ينظرهم جسدياً كما لزمان ساعة واحدة، لكنهم يحتلون قلبه فى المسيح يسوع. إنه يحبهم ويشتاق إليهم، معبراً عن هذه المشاعر المقدسة بلا حرج قائلا: "اجتهدنا أكثر باشتهاء كثير أن نرى وجوهكم" أنها مشاعر بشرية

إنسانية تقدست فى المسيح يسوع، لهذا يعتز بها الرسول فى كل كتاباته. فمع ارتفاع قامته الروحية وانسحاب قلبه إلى السمويات يتعامل بطريقة واقعية مقدساً كل علاقة بشرية. هذا ما نراه بصورة واضحة للغاية فى نهاية رسالته إلى أهل رومية، إذ يكتب : "سلموا على ابينتوس حبيبى، سلمواعلى أمبلياس حبيبى فى الرب، سلموا على برسيس المحبوبة التى تعبت كثيراً فى الرب، سلموا على روفس... وعلى أمه" رو ١٦: ٥ - ١٣. إنه بحق لا يحقر من المشاعر التى تقدست فى الرب ولا يكتمها بل يعلنها بقوة الروح.

يدعو الرسول بولس أولاده فى الرب رجاءه وفرحه وإكليل افتخاره! إنه يراهم فى يوم مجئ الرب أولاداً مقدسين يقدمهم كثمرة تعبه المخلص، فيحسبون مجده وفخره! كل تعب يعانيه من أجلهم وكل ألم يقاسيه إنما يزيد بهاء مجده الأبدى.

خلال هذه النظرة، اشتياقه المقدس الملتهب فى داخله نحوهم وإدراكه أنهم اكليله ومجده، بذل الرسول كل الجهد للذهاب إليهم وسط محنتهم، لكن الشيطان عاقه. لقد حاول أكثر من مرة لكن الحرب الشيطانية كانت قاسية، حرمته من التمتع بمساندة أولاده وسط ضيقتهم بالذهاب إليهم، فأرسل إليهم تلميذه تيموثاوس.

أخيراً يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : "ماذا نقول ؟ هل للشيطان أن يعيقه؟ نعم فإن الاعاقة هنا لم تكن من قبل الله ففى رسالته إلى أهل رومية يقول أن الله أعاقه (رو ٥: ٢٢)، وفى موضع أخر يقول لوقا أن الروح عاقهما عن الذهاب إلى آسيا (أع ١٦: ٧)، وفى الرسالة إلى أهل كورنثوس يقول أن الإعاقة، وفى الرسالة إلى أهل كورنثوس يقول أن الإعاقة إنما هى من عمل الروح، أما هنا فقط فيقول أنها من عمل الشيطان".

الأصحاح الثالث

إرسال تيموثاوس إليهم

بعث الرسول بولس إلى كنيسة تسالونيكى تلميذه القديس تيموثاوس لكى يسندهم فى فترة آلامهم، إذ لم يقدر أن يحضر إليهم بنفسه، وقد عاد إليه القديس يحمل تقريراً مفرحاً عنهم.

١ - إرسال تيموثاوس ١ - ٥

٢ - تقرير تيموثاوس عنهم ٦ - ١٣

١ - إرسال تيموثاوس

"لذلك إذ لم نحتمل أيضاً استحسنا أن نترك فى أثينا وحدنا، فأرسلنا تيموثاوس أخانا وخادم الله والعامل فى إنجيل المسيح حتى يثبتكم ويعظكم لأجل إيمانكم" ع ١: ٢

لم يكتب الرسول بولس إلى أهل تسالونيكى "قد اخترنا لكم تيموثاوس:، وإنما فى حكمة بالغة أوضح أنه هو أجل محبته لهم استحسن أن يحرم نفسه من تيموثاوس مرسلاً إياه لهم، وكأنه يقول لهم إن إرسال تيموثاوس إليكم ليس استخفافاً منى بكم ولا هو امتناع منى عن الحضور إليكم وإنما هو من قبيل محبتى لكم، ففضلتكم عن نفسى، وقبلت أن أترك وحدى فى أثينا ولتتمتعوا أنتم بحضوره إليكم.

حقاً أن تعبير الرسول بولس إنما يكشف عن حكمته وحبه وإتضاعه. فمن جانب كان حكيماً غاية الحكمة، إذ لم يذكر ما قد أشيع بين أهل تسالونيكى أنه تجاهلهم مرسلاً لهم تيموثاوس عوض حضوره بنفسه، وإنما دافع عن موقفه بطريقة غيـر مباشرة حتى لا يجـرح مشاعر القديـس تيموثـاوس متى قرأ

الرسالة، وفى نفس الوقت لكى لا يثبت ما قد حدث من إشاعات مغرضة للتنكيل بمحبته نحوهم، ومن جانب آخر كشف عن محبته لهم إذ أوضح ما فى إرسال تيموثاوس من تضحية، مفضلاً أن يحرم هو منه لأجل تمتعهم به. وأظهر أيضاً إتضاعه بكشفه عن عوزه الشديد للقديس تيموثاوس، حتى حسب نفسه كمن يعيش وحيداً بدونه. إنه فى حاجة ماسة إليه !

إن كان البعض قد أثار بين مؤمنى تسالونيكى بعض الشائعات حول إرسال القديس تيموثاوس عوض حضور الرسول بولس بنفسه، فإن الرسول وسمه بثلاث صفات، إذ دعاه أخاه وخادم الله والعامل معه فى إنجيل المسيح. إنه لم يقصد مدحه أمامهم، وإنما أراد أن يبرز اعتزازه بهم، فقد أرسل إليهم أغلى ما يمكن تقديمه. مقدماً لهم أخاه وخادم الله وشريكه فى العمل الكرازى. وكأنه يقول لهم – فى أسلوب لطيف يهدئ ثورتهم – هل لدى أعظم من تيموثاوس لأرسله إليكم؟! إن كنتم قد توقعتم حضورى، فإن الذى جاء إليكم إنما هو أخى، نظيرى، لا يختلف عنى فى شئ. إنه خادم الله اقبلوه فى الرب فتقبلون الرب نفسه. وهو عامل معى فى إنجيل المسيح، خبراتنا فى العمل الكرازى مشتركة!

أما افتتاحه هذا الأصحاح بقوله : "لذلك إذ لم نحتمل أيضاً..." إنما يوضح أن إرساله القديس تيموثاوس جاء ثمرة طبيعية لما تحدث عنه قبلا فى الإصحاح السابق، أى أبوته لهم. إنه لم يحتمل فى أبوته أن يسمع عن آلامهم فأرسل إليهم خير من يثبتهم فى الإيمان ويعزيهم!

يوضح الرسول بولس غاية إرساله القديس تيموثاوس، قائلا : "**كى لا يتزعزع أحد فى هذه الضيقات، فإنكم أنتم تعلمون إننا موضوعون لهـذا**"ع ٣ لم يسأل الرسول أن ينزع الله الضيقة عنهم، لكنه يطلب لهم الثبات وسط الضيقة، وكأن غاية إرساله تلميذه تيموثاوس لهم هو تثبيتهم وسط المرّ الذى

يعيشون فيه. وقد إستلفت نظر **القديس يوحنا الذهبى الفم** أن الرسول يقول لهم "إننا موضوعون لهذا"، كأن الألم قد صار غاية للمؤمنين بوجه عام وللرعاة على وجه الخصوص فالرسول يرى أن حياته إنما "وضعت لهذا" أى لقبول الألم من أجل المسيح. ويبدو أن أهل تسالونيكى لم يتأثروا بما عانوه من آلام بقدر تأثرهم بما سمعوه عن الرسول أنه عانى آلاماً شديدة فى كل بلد حلّ بها، وأن إرساله تيموثاوس لتثبيتهم ليس فقط بسبب ما حل بهم من ضيقات وإنما أيضاً بسبب ما كانوا يئنون منه بسبب آلامه هو.

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : "ماذا يقول هنا ؟! فإن التجارب التى تحل بالمعلمين تقلق تلاميذهم، ولما كان الرسول قد سقط فى تجارب كثيرة، إذ يقول بنفسه، إنما عاقنا الشيطان (١ تس ٢: ٨)، وأيضاً "أردنا أن نأتى إليكم مرة ومرتين" ولم يستطع كدليل على الشدة المرة التى يعانيها، لذلك اضطربوا بسببه أكثر من اضطرابهم بسبب ما حلّ عليهم من تجارب... وذلك كالجندى الذى لا يضطرب بسبب ما يحل به من جراحات مثلما يضطرب عند رؤيته جراحات قائده" (١٥).

لكى يعزيهم يعود بذاكرتهم إلى أحاديثه معهم حين كان فى وسطهم يكرز لهم بالإنجيل، إذ كان يحدثهم عن الصليب والتجارب والآلام كأمور ضرورية مرتبطة بالإيمان إنه يقول **"لأننا لما كنا عندكم سبقنا فقلنا لكم إننا عتيدون أن نتضايق كما حصل أيضاً وأنتم تعلمون. من أجل هذا إذ لم احتمل أيضاً أرسلت لكى أعرف إيمانكم لعل المجرب يكون قد جربكم فيصير تعبنا باطلاً"** ع ٤، ٥.

نستطيع أن ندرك – من هذا النص – أن الرسول بولس كان يتحدث عن الآلام التى تحل بالمؤمنين حتى فى بدء كرازته سواء لليهود أو للأمم. إنه يتكلم بقلب الأب الروحى الذى لا يخفى عن أولاده شيئاً، موضحاً لهم صعوبة الطريق ومتاعبه، وإذ يدخل أولاده فى الضيق فعلاً يسرع

بمساندتهم حتى لا يضيع تعبه معهم.

ويعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على هذا النص هكذا : "إنه يقول : ينبغى ألا تضطربوا، فإنه لم يحدث أمر غريب أو غير متوقع! فإن مجرد توقع حدوثه يرفع نفوسهم. أليس لهذا السبب سبق المسيح فأخبر تلاميذه : "قلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون ؟" يو ١٤: ٢٩ ؟! يا له من أمر عظيم يهب راحة إذ يسمعون المعلم يخبرهم بما هو مزمع أن يحدث؟! ذلك كالمريض الذى لا يضطرب لما يحدث له إن كان الطبيب قد سبق فأخبره بما سيحدث له، لكن إن حدث له أمر غير متوقع يظن فى نفسه أنه فى حالة خطرة ويحزن مضطرباً. لهذا السبب أخبرهم بولس بما سبق فعرف أنه سيحدث لهم" (١٦).

هذا هو ما يفرحنا وسط الألم، إن السيد المسيح قد سبق فأخبرنا عنه والرسول بروح النبوة أكد لنا إننا لهذا موضوعون. فما يتحقق من آلام لا يتم اعتباطاً وإنما بسماح إلهى سبق فأكده لنا.

بعدما أعلن الرسول أن ما يحدث إنما تم بسماح إلهى فتنبأ بنفسه لهم عنه، عاد ليؤكد أن ما يحل بهم يمثل أيضاً "دخولا فى تجربة" يحاول فيها الشيطان المجرب أن يفسد العمل الرسولى فيهم، أى يحطم ما قد بناه الرسول فيهم خلال الكرازة بالإنجيل، وكأن القديس تيموثاوس قد ذهب إليهم ليطمئن على خدمة الرسول لئلا يكون المجرب قد حطمها. هكذا يشعر الرسول أن كل ضعف يحل بشعب الله الذى خدمه خلال الكرازة بالإنجيل إنما يمس تعبه وإكليله ويفقده فرحة وتهليل قلبه. كأن الرسول يقول لهم بطريقة غير مباشرة لماذا تحسبون إرسال القديس تيموثاوس استهانة بكم، فإن أمركم يمس صميم رسالتى، ونجاحكم هو نجاحى، وضعفكم هو تحطيم لعملى!

٢ – تقرير تيموثاوس عنهم

"وأما الآن فإذ جاء إلينا تيموثاوس من عندكم وبشرنا بإيمانكم ومحبتكم وبأن عندكم ذكراً لنا حسنا كل حين وأنتم مشتاقون أن ترونا كما نحن أيضاً أن نراكم" ع ٦.

ما قدمه القديس تيموثاوس للرسول بولس لم يكن مجرد تقرير عن أحوالهم الروحية والنفسية وإنما بالحرى كان بشارة أو إنجيلاً، إذ يقول "بشرنا بإيمانكم ومحبتكم". وكأن كنيسة تسالونيكى قد ردت الدين للرسول بولس، فهو كرز لها بالإنجيل ودخل بأعضائها إلى الإيمان خلال البشارة المفرحة التى نادى لهم بها، وها هم الآن يردون له البشارة المفرحة والإنجيل العملى خلال إيمانهم ومحبتهم، الأمر الذى عزى قلب الرسول وأبهجه. لقد سمع الرسول – عن طريق تلميذه تيموثاوس – أخبار إيمانهم العملى خلال ضيقتهم وخلال ضيقة الرسول المستمرة فلم تهتز حياتهم الإيمانية بل ازدادت صلابة وقوة. وقد ترجموا هذا الإيمان بالله عملياً خلال الحب إذ يقول "بشرنا بإيمانكم ومحبتكم"، وأعلنوا محبتهم عملياً خلال ذكرهم الرسول بولس بالخير كل حين وشوقهم لرؤيته مع أنه كان فى ذلك الوقت يئن من آلام كثيرة لاحقته أينما وجد. أنهم يحبونه وهو غائب عنهم بالجسد، ولا يكفون عن ذكره بالخير ليس وهو يصنع آيات وعجائب وإنما وهو يحتمل الضيقات!

هنا لم يستطع الرسول أن يكتم مشاعره، إذ يقول : " كما نحن أيضاً (نشتاق) أن نراكم" . إنها مشاعر الحب المتبادل بين الأب وأولاده، أو الراعى ورعيته، وهم جميعاً فى أتون الضيق.

يكمل الرسول : **"من أجل هذا تعزينا أيها الاخوة من جهتكم فى ضيقتنا وضرورتنا بإيمانكم" ع ٧.**

لقد جاء التعبير اليونانى لكلمة "تعزينا" لا بمعنى تمتعه بالراحة فحسب

وإنما تمتعه بالقوة. وكأن إيمان كنيسة تسالونيكى الناشئة كان سنداً للرسول بولس الذى لاحقته الآلام المتوالية من ضربات كثيرة وسجن فى فيلبى (أع ١٦: ٢٣)، وهياج ضده فى تسالونيكى (أع ١٦ : ٥) وتكرار الأمر فى بيريه وأثينا وكورنثوس... وسط كل هذه الأتعاب جاءته أخبارهم إنجيلا حياً عملياً، إذ سمع عن إيمانهم بالله وعدم تزعزعهم بسبب ضيقتهم أو ضيقته.

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على قول الرسول "فى ضيقتنا وضروتنا" هكذا : "إنه لم يطلب منهم أن يشكروه لأنه يتألم بسببهم وإنما كان هو يشكرهم لأنهم كانوا ثابتين فى آلامه. وكأنه يقول لهم "كان الأذى سيلحق بكم أكثر مما يلحق بنا أنتم الذين كنتم تجربون أكثر منا بالرغم من أن الآلام لا تسقط عليكم بل علينا" (١٧). لقد حسب الرسول أن جراحاته لا تؤذيه هو قدر ما تؤذى أولاده إن لم يثبتوا فى الإيمان أمام هذه الأحداث. لهذا إذ رآهم ثابتين فرح جداً بهم وتقوى وسط آلامه، وحسبهم مصدر تعزية له. يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : "المعلم الصالح لا يشغل ذهنه شيئاً إلا ما يمس تلاميذه، لهذا يقول لهم : إننا نتعزى خلالكم، أنتم تثبتوننا مع أن الحادث هو عكس ذلك" (١٨).

باللعجب كان القديس بولس يتألم من أجل الإنجيل وإذ ثبت أولاده وسط الآلام حسب ذلك تثبيتاً له ومصدر تعزية، فيمدحهم وهو المستحق للمديح!

كأنه يقول لهم أنه بسبب ثباتهم وسط آلام الرسول استرد الرسول أنفاسه ولم يعد بعد يشعر بالآلام، إذ يؤكد لهم : **"لأننا الآن نعيش أن ثبتم فى الرب، لأنه أى شكر نستطيع أن نعوض إلى الله من جهتكم عن كل الفرح الذى يفرح به من أجلكم قدام إلهنا؟!** ع ٨ ، ٩.

يعلن الرسول أنه إذ يسمع عن ثباتهم فى الرب وسط آلامه وآلامهم يعيش ولا يبالى بالميتات الكثيرة التى تلاحقه فى كل موضع. فإن نجاح أولاده فى الرب هو سرّ حياته، أما تعثرهم فيحسب بالنسبة له كفقدان لحياته

أو الدخول إلى حالة موت!. والعجيب أنه لا يقول "الآن نفرح إن ثبتم فى الرب" بل "الآن نعيش"، هكذا يرتبط الراعى بشعبه كمن هم روحه وحياته!

ما أعذب روح الرسول بولس، فإنه لا يريد أن يربط شعب الله بشخصه وسط آلامه وآلامهم بل بالرب نفسه، إذ يؤكد لهم : "إن ثبتم فى الرب". وكما يقول **القديس أغسطينوس** على لسان الرسول بولس "لا أريد أن تثبتوا فينا بل فى الرب، فإنه ليس الغارس شيئاً ولا الساقى بل الله هو الذى ينمى (١كو ٣: ٧)" (١٩). إن ما ينعش قلب الراعى الحكيم ويفرح قلبه ليس التفاف الشعب حوله وإنما ثباتهم فى الرب نفسه.

هذا التقرير الذى قدمه القديس تيموثاوس بل هذه البشارة المفرحة أثارت فى نفس الرسول الرغبة فى تقديم ذبيحة شكر لله كإيفاء دين مقابل صنيعه معهم، قائلاً : "لأنه أى شكر نستطيع أن نعوض إلى الله من جهتكم عن كل الفرح الذى نفرح من أجلكم قدام إلهنا؟!" هذا من جانب ومن جانب آخر التهب قلبه بالأكثر مشتاقاً إلى رؤية وجوههم وتكميل نقائص إيمانهم، إذ يقول : **"طالبين ليلاً ونهاراً أوفر طلب أن نرى وجوهكم ونكمل نقائص إيمانكم والله نفسه أبونا وربنا يسوع المسيح يهدى طريقنا إليكم"** ع ١٠، ١١.

يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** أن حنينه لرؤية وجوههم، مصلياً ليلاً ونهاراً لتحقيق ذلك إنما هو علامة على فرحه بثمرهم الروحى، وذلك كالمزارع الذى يسمع عن أرضه أنها امتلأت بسنابل القمح فيشتهى أن يمتع بصره برؤية حقله.

ماذا يعنى بقوله **"تكمل نقائص إيمانكم"**؟ لقد قدم عنهم القديس تيموثاوس تقريراً مفرحاً يعلن فيه عن ثبات إيمانهم، لهذا فإن الرسول بولس لا يعنى بقوله "تكمل" أنهم كانوا فى ضعف بل بالأكثر يعلن عن شوقه لنموهم الدائم فى طريق الكمال بغير توقف. فإنه مهما بلغ إيماننا يلزمنا أن نطلب من الله أن يكمل نقائص إيماننا ونقائص إيمان اخوتنا، وكلما سرنا فى طريق

الفضيلة نصرخ إليه ليكمل عمله فينا حتى نبلغ قامة ملء المسيح.

إنه يطلب من الله الآب نفسه والابن الوحيد يسوع المسيح أن تنزع العقبات التى وضعها الشيطان لإعاقته عن زيارتهم، قائلاً "**والله نفسه أبونا وربنا يسوع المسيح يهدى طريقنا إليكم**" ع ١١.

أخيراً يصلى إلى الله لكى ينميهم على الدوام فى المحبة ليس فقط نحوه وإنما أيضاً نحو بعضهم البعض ونحو الجميع، مؤمنين وغير مؤمنين، فإن المحبة الشاملة لكل البشر أمر جوهرى فى تقديس القلب بالروح القدس فى عينى الله، إذ يقول : "**والرب ينميكم ويزيدكم فى المحبة بعضكم لبعض وللجميع كما نحن أيضاً لكم لكى يثبت قلوبكم بلا لوم فى القداسة أمام الله أبينا فى مجئ يسوع المسيح مع جميع قديسيه**" ع ١٢، ١٣. وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : "إنها المحبة هى التى تجعلهم بلا لوم" (١٩). إن كان غاية إيماننا هى الحياة المقدسة فى الرب التى بدونها لا نقدر أن نعاين الرب (عب ١٢: ١٤) ولا أن نوجد فيه ومعه، فإن هذه الحياة عمادها "المحبة". فإن كانت الحياة المقدسة هى تمتع بالشركة مع الله وممارسة حياته فينا، فإن الله ذاته إنما هو "المحبة" (يو ٤: ٨). وفى يوم مجيئه العظيم يعتز بسمة الحب التى لأولاده، فيدعوهم للملكوت المعد لهم منذ إنشاء العالم من أجل المحبة التى اظهروها فى صغاره، بينما يحرم الأشرار من الملكوت لأنهم لم يحملوا سمة الحب (مت ٢٥: ٤١ – ٤٦).

من الذى يهب الحب ومن الذى ينميه فينا إلا الرب نفسه (ع ١٢)، أى الروح القدس، إذ يقول **القديس امبروسيوس** (٢٠) ماذا يعنى بالرب هنا الذى ينمينا فى المحبة ويزيدنا فيها ويثبتنا فى القداسة أمام الله ويهبنا ترقب مجئ الابن إلا الروح القدس، فإن القداسة هى عطية الروح (٢ تس ٢: ١٣)؟!. ويؤكد **القديس باسيليوس** (٢١) أن الرسول يشير بقوله "الرب" هنا إلى الروح القدس".

الأصحاح الرابع

تثبيت المؤمنين

إن كانت الضيقات التى عاشها أهل تسالونيكى مباشرة فى بلدهم أو خلال الرسول بولس المتألم من أجل الله والخدمة قد زكتهم أمام الله والناس، وصارت شهادة حق وسرّ كرازة للإيمان فى كل مكان وتمجد الرسول بسببهم، فانه يركز أنظارهم إلى النمو أكثر فأكثر من أجل بنيان نفوسهم الروحى حتى يتهيأوا خلال الحياة الفاضلة (المقدسة) فى الرب خاصة الحب، للالتقاء مع العريس السماوى القادم، لهذا يحدثهم الرسول عن:

١ – مفهوم الحياة الفاضلة	**١-٣**
٢ – التخلى عن الزنا	**٤-٨**
٣ – النمو فى الحب	**٩-١٢**
٤ – مجئ الرب الأخير	**١٣-١٨**

✝✝✝✝✝✝✝✝

١ – مفهوم الحياة الفاضلة

"فمن ثم أيها الاخوة نسألكم ونطلب إليكم فى الرب يسوع، كما تسلمتم منا كيف يجب أن تسلكوا وترضوا الله تزدادون أكثر، لأنكم تعلمون أية وصايا أعطيناكم بالرب يسوع لأن هذه هى إرادة الله قداستكم" ع١: ٣.

فى هذه العبارات المختصرة يبرز الرسول بولس مفهوم الحياة الفاضلة أو السلوك المسيحى المقدس بمنظار مسيحى إنجيلى، يمكن أن نلخصه فى النقاط التالية:

أولا: الحياة الفاضلة ليست مجرد أخلاقيات اجتماعية وسلوك أدبى

يتدرب عليه الإنسان بقدارته الخاصة وجهاده الذاتى وإنما أولا وقبل كل شئ هى تفاعل حى مع الوصية الإلهية فى المسيح يسوع. لهذا يقول الرسول: "نسألكم ونطلب إليكم فى الرب يسوع"، أى نوصيكم فيه.

إن كان الرسول يوصيهم إنما فى الرب يسوع، وليس من عندياته، وإلا كانت وصايا بشرية قد تكون براقة وجميلة لكنها عاجزة عن العمل فى أعماق القلب. وصية الرب "فى الرب يسوع" هى كلمة الله التى يقول عنها الرسول فى موضوع آخر: "حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته" عب٤: ١٣.

لقد كشف الرسول عن دوره بكل وضوح بقوله: "إذاً نسعى كسفراء عن المسيح، كأن الله يعظ بنا، نطلب عن المسيح: تصالحوا مع الله" ٢كو٥: ٢. فنحن لا نتقبل الوصية، حتى وان كانت من فم رسول إلا بكونها وصية إلهية يعلنها المسيح فينا لكى يكون لها سلطان فى داخلنا لتغيير حياتنا والدخول بنا إلى أعماق جديدة.

إن قول الرسول "فى الرب يسوع"، إنما تعنى أنه لا يتحدث معنا إلا وهو مختفى فى الرب يسوع، حيث يجد له فى أحشائه موضع راحة وسلام فائق متذوقا الحب الإلهى فيه. من هذا الموضع الجديد يتحدث معنا لكى نوجد نحن أيضاً فى الرب يسوع"، ويكون لنا معه ذات المصير المفرح. فى المسيح يسوع ربنا يختفى الراعى كما الرعية، وفيه يوصى الكاهن أولاده ويتقبل الأبناء الروحيون الوصية، وفيه يجاهد الكل، كما يتكلل الكل. فى اختصار نقول أن الحياة الفاضلة فى جوهرها هى الدخول المستمر "فى الرب يسوع" للتمتع بأعماق جديدة خلال عمله الدائم فينا بنعمته المجانية العاملة فى قلوب المجاهدين.

ثانياً: إن كانت الحياة الفاضلة هى قبول الوصية الإلهية فى المسيح يسوع ربنا لتعمل فينا، فإننا نتقبلها خلال التسليم أو التقليد Paradosis، إذ

يقول الرسول: "كما تسلمتم منا كيف يجب أن تسلكوا وترضوا الله". فالسلوك المسيحى هو جزء لا يتجزأ من التسليم الرسولى. إنه مرتبط بالإيمان المسيحى أو إنجيل المسيح الذى تقبلته الكنيسة من السيد المسيح خلال تلاميذه كتقليد حى يعيشه المؤمنون ويسلم خلالهم عبر الأجيال. هكذا بالتقليد – فى مفهومه الأصيل الروحى – نتقبل الإنجيل الحىَّ لا كأفكار عقيدية مجردة وإنما بالحرى حياة إيمانية عملية معاشة فى القلب فى الداخل ومعلنة خلال العبادة الجماعية والعائلية والشخصية وفى السلوك العائلى ومع الإخوة والغرباء. إنها حياة تمس كيان الإنسان فى كل لحظة من لحظات وجوده وترتبط بكل نسمه له، تتفاعل مع أفكاره وأحاسيسه وكلماته وأعماله. هكذا يظهر الإنجيل خلال التسليم عقيدة وسلوكا بغير انفصال.

ثالثا: غاية الحياة الفاضلة هى: "يجب أن تسلكوا وترضوا الله" لم يكن ممكناً إرضاء الله بعد أن فقد الإنسان صورة الله وتشوه المثال الذى له فيه. يتطلع الله إلى البشرية بعد سقوطها فلا يشتم فيها رائحة رضا بل يجد "الكل قد زاغوا معاً، فسدوا، ليس من يعمل صلاحا ليس ولا واحد" مز١٤: ٣. لكن إذ جاء كلمة الله متجسدا، وحل بيننا ، انفتحت السموات لنسمع صوت الآب "هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت"مت٣: ١٧، ١٧: ٥. سمعناه حين دخل السيد المسيح إلى مياه المعمودية فى الأردن، وحين ارتفع بتلاميذه على جبل التجلى ونحن إذ نقبل العضوية فى جسده المقدس – فى الأردن الجديد – إنما نتقبل رضا الآب وسروره، حيث يرانا متحدين فى ابنه، موضوع سروره وإذ يرتفع بنا الروح القدس على جبال الكتاب المقدس كما على جبل تابور ليتجلى مسيحنا فينا ويعلن ملكوته فى داخلنا. نسمع ذات الصوت من الآب الذى يفرح بثمرة روحه القدوس فينا.

إن كانت الحياة الفاضلة هى دخول "فى المسيح يسوع"، فإننا فيه نجد رضى

الآب وسروره، وخارجاً عنه لا يمكن إرضاؤه. وكما يقول الرسول: "بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه"عب١١: ٦ بمعنى آخر الحياة الفاضلة ليست مجرد سلوك اجتماعى فيه يلتزم الإنسان ألا يضر الغير بل يعينه ويسنده وإنما هى أعمق من ذلك.. دخول إلى الاتحاد مع الله فى المسيح يسوع، لكى يستريح بنا وفينا بكوننا أعضاء جسد ابنه، مقدما لنا موضعاً فى أحضانه الأبوية.

رابعاً: يقول الرسول: "تزدادون أكثر"، بهذا المفهوم لا تقف الحياة الفاضلة الحقه عند حدود، إذ لا يستريح المؤمن حتى يبلغ إلى "مقياس قامة ملء المسيح" أف٤: ١٣ يحمل سماته واضحة ونامية فيه بلا انقطاع حيث يتجلى السيد نفسه فيه من يوم إلى يوم ليدخل به إلى عظمة بهائه.

إن كنا "فى المسيح يسوع" ندخل إلى رضى الآب، فإننا فى المسيح يسوع أيضاً ينبغى أن نجاهد بغير انقطاع لكى ننعم بالنمو فيه، ونزداد بالأكثر من جهة رضى الأب. لقد إدراك الرسول انه بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه، لكنه ليس خلال التراخى أو الكسل وإنما خلال الجهاد الذى لا ينقطع كجندى روحى، إذ يقول: "ليس أحد وهو يتجند يرتبك بأعمال الحياة لكى يرضى من جندة" ٢تى٢: ٤ إنه يجاهد لكى بعدما صار فى الروح لا يعود بعد إلى الحياة فى الجسد، لأن "الذين هم فى الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله" رو٨: ٨. وفى جهاده غير المنقطع لا يطلب مديح الناس بل رضى الله، كقوله: "أفأستعطف الآن الناس أم الله؟! أم أطلب أن أرضى الناس؟! فلو كنت بعد أرضى الناس لم أكن عبداً للمسيح"غلا١: ١٠ من أجل إرضاء الآب يتنازل ليس فقط عما هو شرير من شهوات الجسد وطلب مديح الناس وإنما يتنازل حتى عن حقوقه الشرعية، حتى يبلغ كمال الرضى، وذلك كأن يحيا فى البتولية ليس تدنيسا للحياة الزوجية وإنما للتفرغ ما استطاع للجهاد الروحى، إذ يقول: "غير المتزوج يهتم فى ما للرب كيف يرضى الرب" ١كو٧: ٣٢.

خامساً: لخص الرسول الحياة الفاضلة المرضية لدى الآب فى العبارة: "لأن هذه هى إرادة الله قداستكم". ويعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** هكذا: "لاحظ كيف انه لا يتطلع إلى أى موضع بحماس كهذا. فانه يكتب عنه فى موضع آخر "اتبعوا السلام مع الجميع والقداسة التى بدونها لن يرى أحد الرب" عب١٢: ١٤. لماذا نتعجب إن كان يكتب لتلاميذه عن هذا الأمر فى كل موضع، ففى رسالته إلى تيموثاوس يقول: "احفظ نفسك طاهرا" تى٥: ٢٢، وفى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس يقول: "فى صبر كثير، فى أصوام، فى طهارة "٢كو٦: ٥، ٦ (٢١).

ماذا يعنى الرسول بالقداسة التى يريدها الله فينا؟ إنها اعتزال ما قد دخل إلى طبيعتنا كأمر غريب وقبول ما هو لله. بمعنى آخر القداسة إنما تحمل عمليتين متلازمتين متكاملتين: تفريغ وامتلاء تفريغ عن الشر الذى تسرب إلى طبيعتنا خلال اعتزالنا الله، وامتلاء من الله نفسه القدوس كسر حياتنا فإن كان الله هو القدوس فان حياتنا الفاضلة هى أن تتحقق إرادته المقدسة فينا، فنحمل قداسته داخلنا، ونكون قديسين فيه.

إذ ندخل بالروح القدس إلى المسيح نفسه، فإن الروح يأخذ مما للمسيح ويخبرنا (يو١٦: ١٤) ليس بالكلام فقط وإنما يخبرنا عملياً، فيحول فكرنا إلى فكر المسيح، وتصير إرادتنا إنما هى إرادة المسيح، وتصير أعضاؤنا أعضاءه وآلامنا آلامه الخ. وكأن القداسة إنما هى تجلى المسيح القدوس فى حياتنا الداخلية وسلوكنا الظاهر!.

٢ - التخلى عن الزنا

إذ يتحدث الرسول عن الحياة الفاضلة فى الرب، يتعرض للجانبين السلبى والإيجابى، فإنه لا تمتع للتقديس بدون التفريغ عن النجاسه، ولا يمكن أن يكون لله موضع داخل القلب مع بقاء الشرفيه. الحياة الفاضلة عمليه

ديناميكية مستمرة خلالها يأخذ الإنسان ويفرغ، ينعم بلذة الحياة مع الله مع رفض لذة الخطية، يقبل الفكر الإلهى متخليا عن الأفكار الشيطانية.

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم:** "تنقسم الفضيلة إلى أمرين: ترك الشر وصنع الخير. فان التخلى عن الشر لا يكفى لبلوغ الفضيلة، إنما يحسب هذا مجرد ممر وبداية تقود إلى ما بعدها فإننا فى حاجة إلى نشاط عظيم"(٢٣).

هنا يتحدث الرسول عن الجانب السلبى للحياة الفاضلة، وهو التخلى عن كل شر خاصة الزنا بكل أبعاده، أى بالفكر والنظر والعمل، مقدما مفهوما حياً لتركه يمكن توضيحه فى النقاط التالية:

أولا : إن كان الزنا بكل صوره يعتبر من أبشع الخطايا، فإن الرسول وهو يتحدث عن التخلى عنه يتحدث عن الجانب الإيجابى أى اقتناء القداسة، وكأن التخلى لا يمكن أن يتم منفردا دون الأخذ. انه يقول: "**أن تمتنعوا عن الزنا، أن يعرف كل واحد منكم أن يقتنى إناءه بقداسة وكرامة، لا فى هوى شهوة كالأمم الذين لا يعرفون الله**" ع٣-٥". فالأممى لا يقدر أن يترك هوى الشهوة لأنه لا يعرف الله، أى لا يعرف اقتناء الله والاتحاد معه. إن عرفه إنما خلال معرفة الفكر النظرى والفلسفة الذهنية، لذا يبقى فى فراغه لا يقدر أن يتخلى عن الشهوات والملذات لعلها تقدر أن تشبع حياته. أما المؤمن الحقيقى فانه يستطيع الامتناع عن الزنا، بل ويستنكف منه ولا يطيقه، لأن فى الامتناع عنه لا يشعر بحرمان أو فراغ، إنما يقتنى إناءه الذى هو جسده بقداسة وكرامة، ويشعر بفيض إلهى ينبع داخله ويرويه ويفيض ! خلال الاتحاد مع الله فى ابنه القدوس لا يشعر المؤمن بعطش إلى ملذات زمنية... فان ما يناله أفضل مما يتركه!

خلال هذه الحياة الجديدة التى صارت لنا فى المسيح يسوع يجاهد المؤمن ممتنعاً عن الزنا كأمر لا يليق بالطبيعة الجديدة التى تَمتع بها فى المعمودية، متطلعا إلى جسده كإناء مقدس وآلة بر الله.

يمكننا أيضاً النظر إلى "الإناء" بمعنى الزوجة أو الزوج فان المسيحى يتطلع إلى الطرف الثانى فى حياته الزوجية بكونه "إناءه" يدخل فى قلبه ويستقر بالحب خلال الوحدة التى يقدمها لهما الروح القدس. فى استقرار كل منهما فى قلب الآخر لا يمكن لأحدهما أن ينطلق إلى موضع آخر إنه يكون كحمامه نوح التى لا تستريح إلا فى يديه، وليس كالغراب الذى يمكنه أن يستقر على الجثث والجيف.

ويرى **القديس اغسطينوس**(٢٤) أن الحديث هنا يخص العلاقة الزوجية، فكل طرف يتطلع إلى الطرف الآخر بنظرة مقدسة، كإناء مقدس، فلا تقوم العلاقة بينهما على أساس شهوة الجسد بل الحب فينجبان الأطفال كثمرة الحب والوحدة لا ثمرة شهوات الجسد التى بلا ضابط.

والقديس امبروسيوس(٢٥) تفسير رمزى للإناء المقدس، إذ يرى فى الكاهن أو الخادم الذى ينطق بكلمات الكرازة فى رياء، أى يعظ ولا يعمل كمن يفسد قلوب الآخرين عوض أن يقتنيهم آنية مقدسة للرب، فتحسب كآنية له للهلاك بدلا من أن يقتنيهم آنية للكرامة!

ثانيا: يرى الرسول بولس فى الزنا تعدى على الإخوة، إذ يقول: "**أن لا يتطاول أحد ويطمع على أخيه فى هذا الأمر**" ع٦. من يتطلع إلى آخر بنظرة شهوانية يطمع فى جسده لحساب شهواته الخاصة. فالحب فى جوهره بذل وعطاء وتكريم، أما الشهرة فأخذ واغتصاب وامتهان للغير . الحب انفتاح القلب للعطاء بلا تمييز للجنس أو الشكل، به يحترم الإنسان الطرف الآخر فى إنسانيته ويقدر فكره ومواهبه وحياته. فالمرأة المحبوبة لدى رجلها هى التى تجد فى قلبه كما فى نظراته حبا خالصا لا لإشباع شهوات جسده وإنما خلال العطاء والبذل والتقدير يهتم بشخصها وفكرها ومواهبها. إنه يتعامل معها خلال إنسانيتها ككل وليس خلال الجسد منعزلا،

بهذا تكون العلاقة الجسدية ثمرة محبة صادقة سامية.

يقدم لنا **القديس يوحنا الذهبى الفم** مثالا حياً للتمييز بين الحب والشهوة، فبحسب فكرنا البشرى أو تعبيرنا الدارج يقال عن امرأة فوطيفار أنها أحبت يوسف لكن فى الحقيقة لم تحبه بل أرادت أن تشبع شهواتها الخاصة، والدليل على ذلك أنه إذ رفض طلبها سلمته للسجن ظلماً وعرضت حياته للخطر. أما يوسف فكان بالحق يحبها فإنه وان كان قد امتنع عن الالتصاق بها فى الشر لكنه فى رقة قدم لها إرشادا كافيا لإخماد لهيب شهواتها. فذكرها بزوجها حتى يخجلها، ولم يقل "زوجك" بل "سيدى" لكى يوقظ ضميرها وتعرف مركزها أنها سيدة... وكأنه فى لطف يعاتبها: عار عليك أن تطلبى الشر مع عبد لك، تأملى زوجة من أنت؟!... وبالرغم من لطفه الشديد فى عتابه معها زجت به فى السجن، وحينما نال كرامة فى عينى فرعون وصار الرجل الثانى بعده لم ينتقم لنفسه منها!(٢٦).

إذن، الزنا هو طمع للغير وليس حبا هو انغلاق للنفس من أجل إشباع الإنسان هواه الخاص!

ويقدم لنا **القديس يوحنا الذهبى الفم** تفسيرا آخر لكلمات الرسول: "أن لا يتطاول أحد ويطمع فى هذا الأمر" بقوله: "لقد رسم الله للإنسان زوجة، واضعاً قيوداً طبيعية فلا يتصل أحد إلا بواحدة فقط. فمن يتصل بأخرى يكون قد تطاول وأخذ أكثر مما له، إنه بهذا يتصرف بلصوصية، بل وأقصى من اللصوصية، لأننا لا نحزن إن سلب مالنا متلما إذا أنتهك زواجنا. أتدعوه أخاً وتخطئ إليه فى أمور دنسة (باغتصاب زوجته)؟!..." (٢٧).

ثالثاً : الدعوة للقداسة والامتناع عن الزنا دعوة إلهية وليست اجتماعية، إذ يقول : **"لأن الله لم يدعنا للنجاسة بل فى القداسة"** ع ٧. وكأن السلوك بالقداسة هو تحقيق لإرادة الله فينا والزنا تعدى على الله نفسه قبل أن يكون

تعدى على أجسادنا وتطاول على إخوتنا. لذلك يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** "إنه بنفسه قد دعاك، وها أنت تهين من دعاك" (٢٨).

لا يقدر الزانى أن يحتج بأن ما يرتكبه إنما برضى الطرف الآخر، ليس فيه اغتصاب ولا أصاب أحداً بضرر، فإن هذه الجريمة موجهة ضد الله القدوس نفسه الذى يهب روحه القدوس لتقديس الإنسان. من يرتكب الزنا يهين الروح الساكن فيه وفى أخيه، إذ يقول الرسول : **"وإنما من يرتل لا يرتل إتساتاً بل الله الذى أعطانا أيضاً روحه القدوس"** ع ٨ . ويعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على هذه العبارة، قائلاً : "يقول الرسول إن كنت تدنس إمبراطورة أو جارية لك متزوجة فإن الجريمة واحدة، لماذا؟ لأن الله ينتقم لا عن الأشخاص الذين أصابهم الضرر وإنما ينتقم لنفسه" (٢٩).

لم يبخل الله علينا بشئ حتى وهبنا روحه القدوس – فى سرّ الميرون ليعمل فينا، مقدساً إيانا، ومهيئاً حياتنا للمملكة السماوية فنحسب ملوكاً خلال اتحادنا مع الله فى المسيح ملك الملوك (رؤ ٧ : ١٤)، وقديسين بثبوتنا فى قدوس القديسين، لهذا فإن كل خطية نرتكبها وإن ظننا أنها لا تسئ إلى أحد، فهى تهين ذاك الذى رفعنا إلى هذه الكرامة لنكون قديسين وملوكاً. فالملك الذى يلبس الأرجوان ويحمل تاجاً على رأسه ويمسك صولجاناً إن ارتكب حماقة يهين كرامة المركز الذى وجد فيه!

٣ – النمو فى الحب

أ – يقول الرسول : **"وأما المحبة الأخوية فلا حاجة لكم أن أكتب إليكم عنها"** ويعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم**، قائلاً : "ينطق الرسول بهذا من قبل حكمته العظيمة وتعاليمه الروحية، فإنه بهذا أظهر أمرين: **أولاً** – أن الأمر ضرورى جداً حتى أنه لا توجد حاجة للتعليم عنه، فإن الأمور الهامة جداً واضحة أمام الجميع.

وثانياً – بقوله هذا يجعلهم أكثر خجلاً مما لو قدم لهم نصيحة. فإنه إذ يحسبهم أنهم سالكون باستقامة بهذا يقودهم إلى الاستقامة أكثر مما لو قدم لهم النصيحة، حتى وإن كانوا هم ليسوا كما يظن هو...." (٣٠).

ب – ربما بقوله هذا أراد أن يكشف لهم أنهم بالفعل يمارسون الحب، فلا حاجة لهم أن يكتب إليهم عنه، وإنما إن كتب يطلب نموهم بالأكثر فى محبتهم التى يعيشونها. بهذا يشجعهم الرسول حتى لا يشعروا بصغر نفس، بل يدفعهم إلى النمو فى الحب دون توقف عند حدود معينة. هذا هو منهج الرسول بولس فى كل كتاباته، إنه يشجع النفوس ويبعث الرجاء فى كل نفس حتى إن وبخ أو انتهر، فهو يدرك حاجة الإنسان إلى الكلمات التى تسنده لا التى تحطمه! هذا ومن جانب آخر فإن كل مسيحى دخل إلى العضوية فى الكنيسة أى فى جسد السيد المسيح إنما ينال عطية الحب المجانية لكى يصير بها خلال جهاده الروحى بالروح القدس الساكن فيه. لذلك يقول الرسول : "**لأنكم أنفسكم متعلمون من الله أن يحب بعضكم بعضاً**" ع ٩. إننا متعلمون ليس فقط خلال الوصايا الإلهية الخاصة بالحب ولا خلال الامتثال بالله محب البشر، وإنما بالأكثر خلال عمله فينا، إذ يعطينا طبيعة الحب عاملة فينا.

جـ – قدم لنا الرسول مثلاً عملياً للمحبة الأخوية، ألا وهو الجهاد فى العمل لمساعدة الآخرين عوض أن نطلب مساعدتهم لنا، إذ يقول :

"إن تحرصوا على أن تكونوا هادئين"
وتمارسوا أموركم الخاصة،
وتشتغلوا بأيديكم أنتم كما أوصيناكم،
لكى تسلكوا بلياقة عند الذين هم خارج،
ولا تكون لكم حاجة إلى أحد" ع ١١ ، ١٢

ويعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على هذه العبارات بقوله : "يظهر الرسول كم من الشرور تسببها البطالة، وكم من المنافع يحققها العمل، فالعمل هو علامة الحب للاخوة، به لا نأخذ منهم وإنما نساعدهم... إذ قيل "مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ" أع ٢٠ : ٣٥ (٣١).

اهتم آباء الكنيسة الأولون بالحديث عن "عمل اليدين" ليس فقط بكونه تعبيراً عن المحبة الأخوية حيث يعمل الإنسان ليسند المحتاجين ولا يثقل على أحد، وإنما أيضاً كجزء لا يتجزأ من الحياة الروحية. فقد قدَّس الله العمل البشرى فصار مرتبطاً بالعبادة يشتمه الله رائحة رضا وعلامة حب لله خلال أمانة المؤمن فى عمله كما فى عبادته. ومن جانب آخر فإن العمل يسند النفس والفكر فى الحياة مع الله. نذكر على سبيل المثال ما قاله **القديس يوحنا كاسيان** فى حديثه عن الضجر بالنسبة للرهبان معلقاً على كلمات الرسول التى بين أيدينا هكذا : "يقول الرسول : "**أن تحرصوا أن تكونوا هادئين**"، بمعنى أن تقيموا فى قلايتكم ولا ترتبكوا بالشائعات التى تتبعث عادة من الكسالى وعن ثرثرتهم، فيقلقون ويسببون للآخرين قلقاً" (٣٢). وكأن البطالة تسبب فراغاً فى النفس كما فى الفكر فيرتبك الإنسان بأمور تافهة، ويفقد سلامه لسبب أو لآخر،بل ويدفع الآخرين إلى فقد سلامهم معه، لهذا فالعمل نافع لهدوئنا الداخلى وهدوء الآخرين.

يفسر **القديس يوحنا كاسيان** كلمات الرسول "**تمارسوا أموركم الخاصة**" هكذا : "لا تكونوا فضوليين تستطلعون شئون الغير أو تفحصون حياتهم، فتبددون طاقتكم لا فى نمو حياتكم والتمتع بالفضيلة وإنما فى الانتقاص من قدر اخوتكم" (٣٣). فالإنسان العاطل يحاول أن يملأ فراغ قلبه الداخلى لا بالاهتمام فيما يبنى نفسه، أى بأموره الخاصة، وإنما يشغل ذهنه بتصرفات الغير لإدانتهم فى الفكر إن لم يكن بالكلام أيضاً، والتحقير من شأن الآخرين.

يؤكد الرسول "**وتشتغلوا أنتم كما أوصياتكم**"، وكأنه سبق فأوصاهم بالعمل فى الفترة الوجيزة التى كرز فيها الرسول بينهم حتى لا يسبب لهم الفراغ قلقاً أو يسحب قلبهم إلى تصرفات الغير خلال حب الاستطلاع وإدانتهم. هذه العبارة تكشف عن جانب هام فى كرازة الرسول بولس، إنه وهو يتحدث عن إنجيل المسيح كعصب الإيمان المسيحى وسر حياة المؤمنين إذا به يوصى بالأمور العملية فى دقة وتفصيل حيث يوجههم هنا للعمل اليدوى كجزء لا يتجزأ من بنيان حياتهم الروحية... إنه يكرز بالإنجيل غير منفصل عن الحياة اليومية، فالإيمان يمس حياتنا الروحية كما يمس حياتنا النفسية والاجتماعية والجسدية، بكونها جميعاً تمثل حياة واحدة لا تتجزأ، تمتعنا بالحياة الجديدة فى المسيح يسوع يقدس أرواحنا وأجسادنا، وكل ما فى داخلنا وكل تصرف ظاهر حتى أعمالنا اليومية بل وأكلنا وشربنا، ونومنا ويقظتنا وتسليتنا الخ...

هذه النظرة المتكاملة للإنسان تنزع عنا كل دهشة بخصوص اهتمام سليمان الحكيم بالحديث عن تدبير كل حياة الإنسان خاصة العمل وتجنب الكسل والفراغ فى أكثر من موضع. فمن كلماته: "كل كسول سيكتسى بالخرق والثياب البالية، أم ٢٣ : ٢١ (الترجمة السبعينية). ويعلق **القديس يوحنا كاسيان** على هذه العبارة، قائلاً : "من المؤكد أن الكسول لا يستحق أن يتزين بالحلة التى لن تبلى ولن تفسد، التى يتحدث عنها الرسول : "البسوا الرب يسوع المسيح" رو ١٣ : ١٤ وأيضاً " "لابسين درع الإيمان والمحبة" ١ تس ٥: ٨، والتى تكلم عنها الرب نفسه بلسان النبى موجهاً الحديث لأورشليم : "استيقظى، البسى عزك يا صهيون: إش ٥٢: ١. فمن يستبد به نوم التراخى أو الضجر يستحسن لا أن يكتسى بعمله وكده بل بخرق الكسل" (٣٤). أن طريق الكسول مملوءة أشواكاً وحقله الداخلى أى قلبه لا يخرج إلا شوكاً وحسكاً، إذ يقول الحكيم : "عبرت بحقل الكسلان

وبكرم الرجل الناقص الفهم، فإذا هو قد علاه كله القريص وقد غطى العوسج وجهه وجدار حجارته انهدم" أم ٢٤: ٣٠. أما النفس العاملة بحكمة فلا يكون فى داخلها أشواك بل ثمار الروح القدس المفرحة، ولا تكتسى بالخرق البالية بل ببهاء المسيح نفسه. عن هذه النفس التى يفرح بها السيد كعروس مقدسة له يقول الحكيم : "امرأة فاضلة من يجدها لأن ثمنها يفوق اللآلى... تطلب صوفاً وكتاناً وتشتغل بيدين راضيتين. هى كسفن التاجر، تجلب طعامها من بعيد، وتقوم إذ الليل بعد. وتعطى أكلاً لأهل بيتها وفريضة لفتياتها. تتأمل حقلاً فتأخذه، وبثمر يديها تغرس كرماً. تنطق حقويها بالقوة وتشدد ذراعيها" أم٣١ : ١٠ – ١٧ إنها النفس التى لا تكف عن العمل نهاراً وليلاً، فتشبع قلب المسيح عريسها بثمر روحه، وتقدم طعام الحب لاخوتها... تعيش بروح القوة، بذراع متشددة.

إذن فالعمل التزام إيمانى مقدس يلتزم به كل مسيحى حتى وإن كان فى غير عوز. ولا يعفى عن هذا الالتزام حتى الرهبان المتوحدين، إذ يقول **القديس باسيليوس الكبير** فى حديثه عن كمال حياة المتوحدين : "يليق بالمسيحى ألا يكون بلا ترتيب (تى ١: ١٠). من يقدر على العمل يلزمه ألا يأكل خبز الكسل، ومن ينشغل بالعمل فليفعل هذا حسناً لمجْد المسيح" (٣٥).

٤ – مجئ الرب الأخير

بعدما حدثهم عن الثبوت فى الحياة الفاضلة فى الرب، وجه أنظارهم إلى القيامة من الأموات ومجئ الرب الأخير ليبعث فيهم روح الرجاء فى جهادهم الروحى ولتثبيتهم للنهاية أثناء الضيق. وقد أوضح الرسول النقاط التالية :

أولاً : صار الموت خلال إيماننا بالسيد المسيح رقاداً، إذ يقول : "**ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الاخوة من جهة الراقدين لكى لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم**" ع ١٣. وكما يقول **الأب افراهات**: "الخاطئ وهو حى

ميت لله، أما البار فإنه وهو ميت حى لله. مثل هذا الموت يحسب رقاداً، وكما يقول داود : "أنا اضطجعت ونمت ثم استيقظت" مز ٣: ٤. ويقول إشعياء : "استيقظوا يا سكان التراب" ٢٦ : ١٩. ويقول الرب عن إبنة رئيس المجمع : "الصبية لم تمت ولكنها نائمة" مت ٩ : ٢٤. وعن لعازر يقول لتلاميذه : "لعازر حبيبنا قد نام، لكنى أذهب لأوقظه" يو ١١: ١١ (٣٦).

إنه يدعو الأموات بالراقدين، لأن نفوسهم قد تمتعت بالقيامة من الأموات خلال دفنهم مع السيد المسيح فى المعمودية، فلا سلطان للموت عليها. إنها فى حالة رقاد أو نوم مؤقت إلى يوم الرب العظيم حيث تستيقظ أجسادهم لتتمتع بالمجد فتشارك النفس إكليلها ويحيا الإنسان فى أمجاد الحياة الأبدية. إن كان الموت هو راحة ورقاد، فإن القيامة هى الحياة. لذلك يقول **القديس امبروسيوس** "الراحة حسنة، لكن الحياة أفضل، لهذا يسأل الرسول القيامة لمن هو فى راحة ليكون فى الحياة، قائلاً " "استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضئ لك المسيح" أف ٥: ١٤ (٣٧).

ثانياً : ما دام الموت رقاداً فإنه يليق بنا ألا نحزن بلا رجاء من جهة الراقدين كمن هم بلا إيمان – لقد بكى السيد المسيح عندما خرت مريم عند قدميه قائلة : "يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخى" يو ١١: ٣٢، حتى "قال اليهود : انظروا كيف كان يحبه". لقد قدس السيد ببكائه مشاعرنا البشرية، فنشارك المتألمين آلامهم، ونشعر بالشوق نحو أحبائنا الراقدين، لكن فى رجاء حىٍّ أننا نلتقى معهم.

يقول **القديس امبروسيوس** : "ليس كل بكاء ينبع عن عدم إيمان أو ضعف، فالحزن الطبيعى شئ وحزن عدم الثقة شئ آخر. هناك فارق كبير بين الاشتياق إلى ما فقدناه والنحيب (بيأس) على ما فقدناه. هذا ويلاحظ أنه ليس الحزن فقط يسبب دموعاً وإنما للفرح أيضاً دموعه" (٣٨). وكتب **القديس باسيليوس الكبير** إلى كنيسة بارنوسيوس شمال كبادوكية مؤكداً لهم

أن الرسول لم ينزع عنا بكلماته هذه مشاعرنا نحو الراقدين إنما يحذرنا من الاستسلام للحزن، إذ يقول "لست أعنى بهذا أننا نكون بلا إحساس نحو الخسارة التى لحقت بنا وإنما ألا نستسلم لحزننا" (٣٩).

أما سر عدم استسلامنا للحزن فهو رجاؤنا الذى يتخطى حدود هذه الحياة الزمنية ليرى المؤمن الأبدية معلنة فى داخله "وكما **يقول القديس باسيليوس الكبير** "لو حصر رجاء المسيحيين فى حدود هذه الحياة لكان نصيبنا مراً بحق، إذ يحصر فى الجسد قبل الأوان (أوان الأبدية)، أما إن كانت لهم محبة الله وتعتزل نفوسهم قيود الجسد فإنهم يحسبون ذلك بداية الحياة الحقيقية، فلماذا تحزن كمن لا رجاء لهم؟ إذن فلتسترح ولا تسقط تحت متاعبك وإنما لتظهر نفسك اسمى من المتاعب ومرتفع فوقها" (٤٠).

ثالثاً : يقول الرسول : "**لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام فكذلك الراقدون بيسوع سيحضرهم الله أيضاً معه**" ع ١٤. يسمى الرسول الأموات بالراقدين بيسوع، أى أنهم يحملون السيد فى داخلهم، لهذا لا يقوى الموت عليهم. فى داخلهم "القيامة" يو ١١: ٢٥. ذاته وإن ماتوا حسب الجسد لكنهم يقومون بالمسيح الساكن فيهم، القيامة ليست بغريبة عنهم ولا بعيدة وإنما فى داخلهم عاملة فى أجسادهم كما فى نفوسهم.

يقول **القديس كبرياتوس** : "يقول الرسول (عن غير المؤمنين) أنهم يحزنون على رحيل أصدقائهم بلا رجاء، أما نحن فنعيش فى رجاء، ونؤمن بالله ونثق أننا نسكن فى المسيح الذى تألم عنا وقام، ونقوم به وفيه، فلماذا لا نريد الرحيل من هذه الحياة بل ننتحب ونحزن على أصدقائنا عند رحيلهم كما لو كانوا مفقودين، بينما السيد المسيح نفسه ربنا وإلهنا يشجعنا، قائلاً: "أنا هو القيامة والحياة، من آمن بى ولو مات فسيحيا، وكل من كان حياً وآمن بى فلن يموت إلى الأبد" يو ١١: ٢٥. إن كنا نؤمن بالمسيح

فلنؤمن بكلماته ومواعيده أننا لن نموت إلى الأبد. لنأت إليه بثقة أكيدة وفرح هذا الذى به نغلب ونملك إلى الأبد" (٤١).

رابعاً : يعلن الرسول عن قيامة الراقدين ومجدهم، قائلاً "**سيحضرهم الله أيضاً معه**" ع ١٤ هذا هو سر مجدهم وكرامتهم أنهم سيكونون معه، وهو يكون معهم وفى وسطهم. لقد سمع القديس يوحنا الحبيب صوتاً من السماء يصف الحياة الأبدية قائلاً: "هوذا مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعباً والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم" (رؤ٢١ : ٣). وفى حديث يوجهه **القديس يوحنا الذهبى الفم** لمن مات ابنه يقول: "حينما تطلب ابنك، ابحث عنه حيث يوجد الملك، حيث يوجد جيش الملائكة. لا تطلبه فى القبر على الأرض، لئلا بينما يكون هو مرتفعاً فى الأعالى تبقى أنت زاحفاً على الأرض" (٤٢).

خامساً : يتحدث الرسول عن لقاء الراقدين والأحياء معه، قائلاً: " **فأننا نقول لكم هذا بكلمة الرب إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجئ الرب لا نسبق الراقدين، لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات فى المسيح سيقومون أولاً. ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم فى السحب لملاقاة الرب فى الهواء، وهكذا نكون كل حين مع الرب. لذلك عزوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام**" ع١٥ – ١٨.

لقد أراد الرسول أن يظهر بأن القيامة ليست بالأمر الصعب على الله، فإن الذى يختطف الأحياء لملاقاته فى السحب يستطيع أيضاً أن يقيم الأموات ليكون لهم ذات النصيب.

يقول **القديس يوحنا ذهبى الفم** أن قول الرسول، "نحن الأحياء الراقدين" لا يقصد بها الرسول نفسه والجيل المعاصر له، وإنما قصد المؤمنين الذين يبقون حتى يوم مجيئه (٤٣). أما قوله "نحن" فعلامة الوحدة فى الكنيسة، ما يتحقق مع أولاده الذين يكونون أحياء فى ذلك الحين يحسبه الرسول كأنه يتحقق معه.

يتساءل **القديس يوحنا الذهبى الفم** : "إن كان (السيد) نازلاً، فلماذا نختطف نحن إلى فوق (فى السحب)؟ من أجل الكرامة! فإنه عندما يدخل ملك مدينة ما يخرج إليه أصحاب الكرامة لملاقاته، أما المدانون فيبقون فى الداخل ينتظرون القاضى. عند مجئ أب حنون يأخذ أولاده الحقيقيون ومن هم مستحقون أن يكونوا كأولاد له فى مركبة ليخرجوا وينظروه ويقبلونه، أما الخدم المخطئون فيبقون فى الداخل، هكذا نحمل نحن فى مركبة أبينا (السحب) : فقد أخذ هو فى السحابة (أع ١: ٩) ونحن أيضاً نختطف فى السحب. أنظر أية كرامة هذه؟! إنه ينزل إلينا فنصعد نحن لملاقاته! ما أعظمها غبطة أن نكون نحن معه!" (٤٤).

يرى **القديس غريغوريوس أسقف نيصص** أن اختطاف المؤمنين على السحاب لكى يلتقوا بالسيد القادم إليهم ويكونوا معه إلى الأبد، إنما هو علامة التغيير الذى يتم فى أجسادنا، فتتحول من الفساد الذى كان يمثل ثقلاً يجتذبها نحو الأرض إلى عدم الفساد فترتفع خفيفة منطلقة إلى السحب لملاقاة الرب. إنه يقول "عندما يسمع بوق القيامة الذى يوقظ الأموات ويحول الذين هم أحياء على شكل الذين تمتعوا بالتغيير الخاص بالقيامة أى إلى عدم الفساد، فلا يعود يكون وزن الجسد ثقيلاً ينزل بهم إلى الأرض، إنما يرتفعون إلى أعلى فى الهواء كقول الرسول" (٤٥). وفى موضع آخر يقول : "ما حدث لناسوت المسيح إنما هو منحة عامة مقدمة للبشرية كلها. فإننا إذ نرى فيه ثقل الجسد الذى بحسب الطبيعة ينجذب نحو الأرض، قد صعد فى السموات خلال الهواء نؤمن بكلمات الرسول أننا نحن أيضاً نختطف فى السحب لملاقاة الرب فى الهواء" (٤٦) **وللقديس أغسطينوس** فكر مشابه، إذ يقول : "إننا سنكون ليس بلا أجساد عندما نوجد مع الرب على الدوام، لكن إذ تكون الأجساد غير قابلة للفساد فإنها لاتثقل على نفوسنا. إن تطلعنا بدقة فإننا نجد أن نفوسنا لا تلتصق بالأجساد بل الأجساد تلتصق بنفوسنا ونحن (نفوسنا) نلتصق بالله" (٤٧).

الأصحاح الخامس

وصايا ختامية

يختتم الرسول بولس رسالته بوصايا عملية وذلك كعادته فى كل رسائله فيتحدث هنا عن:

١- حياة السهر	**١-١١**
٢- محبة الرعاة	**١٢-١٣**
٣- وصايا أخرى	**١٤-٢٢**
٤- ختام الرسالة	**٢٣-٢٨**

††††††††

١- حـــياة الـــسهر

إذ يكتب الرسول إلى الكنيسة المتألمة المترقبة بصبر سرعة مجيء الرب يطالبهم بالسهر الدائم مبرزاً النقاط التالية:

أولاً: إن يوم الرب لا يأتى بمراقبة ، إذ لا يعلم أحد اليوم ولا الساعة (مت ٢٤:٢٦) ، وكما يقول الرسول : "**وأما الأزمنة والأوقات فلا حاجة لكم أيها الأخوة أن اكتب إليكم عنها**" ع١ إنه يردد كلمات السيد المسيح قبيل صعوده: "ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التى جعلها الآب فى سلطانه" أع ١:٧ ، ليس لأن الله يريد أن يخفى عنا أسراره ، وإنما فى محبته يود أن يجعلنا فى حالة سهر دائم ملتهبة قلوبنا بمجيئه ، ومستعدين للدخول معه فى العرس الأبدى .

وكما أن يوم مجيئه سرّ خاص بالله ، يتحقق عندما يكمـــل المختارون ،

ليس لنا أن نعرف زمانه، هكذا أيضاً فى حياتنا الروحية ، يلزمنا أن نجاهد بالروح القدس الساكن فينا لنمارس الحياة الفاضلة فى الرب ، وبيقين شديد أنه يعمل فينا لنمونا الروحى ، لكننا لا ننتظر عطاياه الروحية بمراقبة . فى رجاء حقيقى يجاهد الإنسان متكئاً على صدر الرب مطمئناً لمحبة الله الذى يهب بسخاء ولا يعيِّر ، لكننا نترك له موعد العطاء ، فهو يهب ما لمجد اسمه وما لبنيان الكنيسة ولخلاصنا يحدد الموعد المناسب ويعطى قدر ما يرى هو كما ننتظر بشوق مجيء الرب دون معرفة الأزمنة ، نفتح قلوبنا بشوق لنعمه الروحية الغنية دون تحديد أزمنة . وما أريد أن أوضحه أن الله لا يبخل علينا ، لكنه لهدف معين قد يتأخر فى الاستجابة كأن يعلمنا حياة المثابرة أو يدربنا على الصلاة بلجاجة أو ليزكى إيماننا فيه أو لكى لا نستخف بالعطايا الإلهية. فالتأخير فى العطاء فى الحقيقة هو جانب من جوانب رعاية الله الفائقة لفكرنا.

ثانياً: يأتى هذا اليوم بالنسبة لغير المستعدين كلص فى الليل فى لحظة لا يتوقعونها أو كالمخاض للحبلى، إذ يقول: "**لأنكم أنتم تعلمون بالتحقيق أن يوم الرب كلص فى الليل هكذا يجئ، لأنه حينما يقولون سلام وأمان حينئذ يفاجئهم هلاك بغتة كالمخاض للحبلى فلا ينجون**" (ع ٢، ٣). إنه يوم ظلمة وقتام لغير المستعدين، فيكون كمن ينام ظاناً أنه فى سلام وأمان، فيسطو عليه اليوم فجأة كلص ينهبه، أو يكون كالحبلى غير المستعدة للمخاض فيفاجئها وتهلك. وكما يقول عاموس النبى: "ويل للذين يشتهون يوم الرب، لماذا لكم يوم الرب هو ظلام لا نور" (عا ٥:١٨).

يرى **القديس أوغسطينوس** أن عنصر المفاجأة يتحقق بالنسبة لغير المستعدين إما بمجئ الرب لإدانتهم أو إنتقالهم، إذ يقول: "لتسهروا بالليل حتى لا تفاجئوا باللص، فإن نوم الموت قادم، إن أردتم أو لم تريدوا" [٤٩].

ثالثاً: إن كان يوم الرب بالنسبة لغير المستعدين ظلاماً، فإنه بالنسبة للمؤمنين الساهرين يوم عرس مفرح ومنير. يقول الرسول: "**وأما أنتم أيها الاخوة فلستم فى ظلمة حتى يدرككم ذلك اليوم كلص. جميعكم أبناء نور وأبناء نهار، لسنا من ليل ولا من ظلمة، فلا ننم إذاً كالباقين بل نسهر ونصح. لأن الذين ينامون فبالليل ينامون، والذين يسكرون فبالليل يسكرون**" (ع ٤-٧).

لقد كنا قبلاً أبناء ليل وأبناء ظلمة كاللصوص والزناة الذين يترقبون الليل ليمارسوا نشاطهم الشرير، ويرتكبوا أعمال الظلمة من لصوصية وزنى.. وكما يقول **القديس أغسطينوس:** "من هم أبناء الليل؟ وأبناء الظلمة؟ أولئك الذين يرتكبون الشرور. إنهم أبناء ليل إذ يخافون لئلا تنظر الأمور التى يفعلونها.. ليس أحد يعمل فى الفجر (مع بدء النهار) إلا الذى يعمل فى المسيح!" [٥٠].

كنا قبلاً نسلك فى الليل كمن فى حالة نوم، يأتينا يوم الرب كلص، أو كالمخاض للحبلى غير المستعدة، أما الآن فإذ قبلنا شمس البر فينا. دخلنا إلى النور، وصرنا أبناء نور وأبناء نهار نترقب مجيئه بفرح، بقلب متيقظ.

يتساءل **القديس يوحنا ذهبى الفم:** "كيف يمكن أن يوجد أبناء للنهار؟". ويجيب: "يُقال ابن الهلاك وابن جهنم أى الذين يعملون أعمالاً تناسب جهنم، إذ يقول المسيح للفريسيين: "ويل لكم لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً ومتى حصل تصنعونه ابناً لجهنم" (مت ١٥:٢٣). وأيضاً يقول بولس: "الأمور التى من أجلها يأتى غضب الله على أبناء المعصية" (كو ٢:٣)، أى الذين يعملون أعمال المعصية. هكذا أيضاً أبناء الله هم الذين يعملون الأمور التى ترضى الله، أبناء النهار وأبناء النور هم الذين يعملون أعمال النور"[٥١].

رابعاً: يلتزم أبنـــاء النهار وأبنـــاء إلنور بالسهر لا بمعنى الامتناع عن

النوم الطبيعى وإنما دوام يقظة النفس الداخلية، فلا يكون لها ليل قط تسترضى فيه بل كما يأمرنا الرسول "لنسهر ونصح"، تكون حياتنا كلها نهاراً وكلها نوراً. وكما يقول **القديس يوحنا ذهبى الفم** أنه بالنسبة للجسد يوجد ليل ونهار بغير إرادتنا، فيلتزم الجسد بالنوم وقتاً ما، أما بالنسبة للنفس ففى سلطاننا أن يكون لنا نهار أو ليل، فإنه إذ نغمض أعيننا الداخلية ونفقد بصيرتنا الروحية ونسترضى تنام النفس. أما النفس اليقظة، فتقول: "أنا نائمة وقلبى مستيقظ" (نش ٥:٢)،حتى وإن نام الجسد وبدت الحواس مسترخية، فإن القلب لا يعرف الليل ولا الظلمة ولا الإسترخاء!

هذا ولا تنكر أهمية سهر الجسد أيضاً فيما هو لبنيان الروح، فى الصلاة أو التسبيح أو دراسة الكتاب المقدس أو خدمة المرضى إلخ.. يقول **القديس يوحنا ذهبى الفم:** "العين الساهرة تجعل العقل نقياً وأما النوم الكثير فيقيد الروح"، "النوم الكثير يولد النسيان أما السهر فينقى الذاكرة" (٥٢).

خامساً: يقول الرسول: "**لأن الذين ينامون فبالليل ينامون، والذين يسكرون فبالليل يسكرون**" (ع ٧). فالنفس لا تنم إلا إذا قبلت أن يكون لها ليل وظلمة، حينئذ تسترخى، وأيضاً لا تسكر إلا إذا قبلت أن تشرب خمر الشر الذى يجعلها مترنحة، فتفقد كل إتزانها ويضيع الهدف من أمام عينيها. النفس التى تشتهى غنى العالم، وتجرى وراء المجد الباطل، وتسعى وراء الشهوات والملذات الجسدية تعيش كما فى ليل وظلمة وكمن يشرب خمراً، بل وتكون كمن هو فى حلم فتستيقظ يوماً على أثر ندائها لتخرج من الجسد فلا تجد شيئاً من كل ما كانت تسعى وراءه . لقد عاشت فى حالة نوم وسُكر حين كانت فى الجسد فلا تجد تسترخى وتترنح بخمر محبة العالم فلا تطلب ما هو بحق ليبقى لها رصيداً فى أبديتها.

سادساً: يقول الرسول: "**وأما نحن الذين من نهارٍ فلنصح لابسين درع**

الإيمان والمحبة وخوذة هى رجاء الخلاص" (ع ٩). إن كنا قد قبلنا ألا يكون لنا ليل ولا ظلمة فنحيا فى النهار صاحين نتقدم لله كجنود روحيين نحتمى بدرع الإيمان والمحبة وخوذة الرجاء، هذه الأمور الثلاثة "الإيمان والمحبة والرجاء" هى أدوات الحرب الروحية التى اختبرها أهل تسالونيكى كما جاء فى مقدمة الرسالة: "متذكرين بلا إنقطاع عمل إيمانكم وتعب محبتكم وصبر رجائكم" (١ :٣).

ما دمنا أبناء النور لن يقدر الشيطان "رئيس الظلمة" أن يتوقف عن تصويب سهامه النارية ضدنا. لهذا يقول **القديس يوحنا ذهبى الفم:** "ليلتف الإيمان والحب حول نفسك (كدرع) فلا يقدر أى سهم نارى للشيطان أن يخترقه" [٥٣].

يقول **الأب سيرتيوس:** "الإيمان هو الذى يوقف سهام الشهوة الشريرة ويهلكها بالخوف من الدينونة العتيدة والإيمان بملكوت السموات.. والمحبة فى الواقع هى التى تحيط المناطق الحيوية للصدر فتحميه من التعرض لجراحات الأفكار المتزايدة المهلكة، وتحفظه من الضربات الموجهة ضده، ولا تسمح لسهام الشرير أن تتعمق إلى الإنسان الداخلى، لأن "المحبة تحتمل كل شئ وترجو كل شئ وتصبر على كل شئ" (١كو ١٣ :٧).. وخوذة رجاء الخلاص هى التى تحمى الرأس.

فالمسيح هو رأسنا، لذلك ينبغى علينا فى التجارب أن نحمى رأسنا برجاء الأمور الصالحة العتيدة، وعلى وجه الخصوص أن نحفظ الإيمان كاملاً وطاهراً. فمتى فقد إنسان جزء من جسده، يمكنه أن يعيش مهما كان هزيلاً، لكنه لا يستطيع أن يحيا ولا لفترة قصيرة بدون الرأس"[٥٤].

لقد رتب الرسول أسلحة الروح هكذا: الإيمان فالمحبة ثم الرجاء.. مع أنه فى مواضع أخرى يرتبها هكذا: الإيمان فالرجاء ثم المحبة، لأن الإيمان

هو سرٌ لقائنا بالله والتمتع بالشركة معه فى إبنه، والرجاء هو الذى يهبنا الفرح خلال اليقين الشديد أننا مدعوون للميراث الأبدى. فإن كان الإيمان يفتح بصيرتنا لندرك أسرار محبة الله، فإن الرجاء هو الذى يدفعنا لقبول هذه الأسرار بغير يأس. أما المحبة فهى ثوب العرس الأبدى، والنصيب الذى يبقى معنا فى السموات، لأن "المحبة لا تسقط أبداً". فسينتهى الإيمان برؤيتنا لله وأسراره، والرجاء بتمتعنا العملى بالميراث ، وأما المحبة فلا تزول بل تبقى سر أبديتنا كلغة التفاهم فى السموات. أما هنا فإذ يتحدث إلى أهل تسالونيكى وهم فى ضيقة مرة مع الرسول المتألم لذلك ترك الحديث عن الرجاء بعد الإيمان والمحبة، لتأكيد حاجتهم إلى الصبر الدائم بغير يأس حتى يكملوا طريق الآلام مترقبين بفرح مجئ الرب الأخير والتمتع بالأمجاد الأبدية.

أما سر قوتنا فى جهادنا الروحى فهو اختيار الله لنا وبذله ابنه الوحيد فدية عنا وخلاصاً لنفوسنا، إذ يقول الرسول: "**لأن الله لم يجعلنا للغضب بل لإقتناء الخلاص بربنا يسوع المسيح، الذى مات لأجلنا**" (ع ٩، ١٠). وكما يقول **القديس يوحنا ذهبى الفم**: "لا تيأس يا إنسان من جهة ذهابك إلى الله، فإنه لم يبخل عليك بابنه. لا تضعف أمام الشرور الحاضرة. لقد قدم الله ابنه الوحيد ليخلصك وينقذك من جهنم، فأى شئ لا يقدمه لخلاصك؟ هكذا يليق بنا أن نترجى كل شئ بحنو. فلا تخف لأننا ذاهبون إلى الديان ليحكم علينا، فإنه هو بنفسه الذى أظهر لنا حباً عظيماً مقدماً إبنه ذبيحة عنا. إذن فلنترج نوال أمور عظيمة ونبيلة ما دمنا قد نلنا الأساسيات، ولنؤمن إذ رأينا مثالاً أمامنا، ولنحب لأنه أى جنون ينسب لمن لا يحب من عوامل هكذا؟ " (٥٥).

إن كانت أسلحتنا الروحية هى الإيمان والمحبة والرجاء، فإننا خلال ذبيحة السيد المسيح ننعم بهذه الأسلحة، فنؤمن به كمخلص، وننهل من صليبه سر المحبة الإلهية المتدفقة، وخلاله نترجى التمتع بالأمجاد خلال

هذه الذبيحة يمتلئ المؤمن إيماناً وحباً ورجاء.

خلال هذه الذبيحة دخلنا فى ملكية الله، فصرنا له، سواء كنا ساهرين فى هذا العالم خلال حياة الجهاد المستمر أو نمنا أى رقدنا للراحة فى الرب حتى تقوم أجسادنا من جديد. إذ يقول الرسول: **"حتى إذا سهرنا أو نمنا نحيا جميعاً معه"** (ع ١٠). وكما يقول "لأنكم قد اشتريتم بثمن فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله" (١كو ٦:٢٠). ويقول **القديس بطرس:** "عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التى تقلدتموها من الآباء، بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح" (١بط ١:١٨، ١٩).

بموت السيد المسيح صرنا فى ملكية الله، له كل القلب موضعاً يستريح فيه، ولنا فيه موضعاً نستريح نحن فيه ومعه.. بهذا صار لجهادنا على الأرض غاية واضحة هى الوجود مع الله . هذا هو سر تعزيتنا الحقيقية التى نسند بها إخوتنا،إذ يقول الرسول: **"لذلك عزوا بعضكم بعضاً وابنوا أحدكم الآخر"** (ع ١١).

٢- محبة الرعاة

"ثم نسألكم أيها الاخوة أن تعرفوا الذين يتعبون بينكم، يدبرونكم فى الرب وينذرونكم، وأن تعتبروهم كثير جداً فى المحبة من أجل عملهم" (ع ١٢، ١٣).

بعد أن حثهم على حياة السهر الروحى والجهاد، منتظرين مجئ الرب فى صبر بدأ يسألهم تكريم آبائهم الروحيين ومدبريهم الساهرين عليهم، طالباً منهم أن يعتبرونهم كثيراً جداً فى المحبة. ولعل السبب فى هذا أن بعض المغرضين حاولوا تشويه صورة الرسول بولس عند الكنيسة فى تسالونيكى إذ لم يحضر إليهم وسط ضيقتهم مكتفياً بإرسال تلميذه وشريكه

فى الخدمة الرسولية تيموثاوس. لقد سبق فرأينا كيف كشف الرسول عن أبوته لهم وحنانه نحوهم ومشاركته آلامهم.. والآن لا يطلب لنفسه هذه الكرامة وإنما يسألهم الحب لجميع من يخدمونهم روحياً. إذ طهر السيد المسيح أبرصاً قال له "اذهب أر نفسك للكاهن" (مت ٨:٤). ويقول الرسول: "أما الشيوخ المدبرون حسناً فليحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة ولا سيما الذين يتعبون فى الكلمة والتعليم" (١تى ٥:١٧). ويعلق **القديس يوحنا ذهبى الفم** على عبارات الرسول فى هذا الأصحاح قائلاً: "من يحب المسيح يحب الكاهن – أياً كان – فمن خلاله ينعم بالأسرار الشرعية.. أما تحبه كثيراً كعينيك؟ أما تقبله؟ إنه يفتح لك السماء، أفما تقبله وتكرمه؟ إن كانت لك زوجة فلتحبه بالأكثر لأنه قدمها لك. إن كنت تحب المسيح إن كنت تحب ملكوت السموات فاعرف أنك تقتنى هذا خلاله"[٥٦].

الكرامة التى نقدمها للكاهن أو الحب الذى نظهره له إنما يعلن خلال طاعتنا لكلمة الله، وقبولنا لحياة الشركة مع الله، فإنه ليس شئ يبهج قلب الخادم ويشبع نفسه مثل أن يرى أولاده فى أحضان الله. فالكاهن ليس فى حاجة إلى كلمات مديح ولا يسر بالمحبة العاطفية قدر ما يفرح بخلاص أولاده.. تكريمنا له يتحقق بمساندته فى رسالته خلال نمونا الروحى وعملنا فى كرم الرب لحساب ملكوت السموات. هذا ما لمسناه بوضوح فى دراستنا للقديس يوحنا ذهبى الفم إذ يصرخ لشعبه طالباً أن يبسطوا أيديهم ويترفقوا به كمن هو فى خطر، وذلك خلال التوبة الصادقة والعمل فى كرم الرب[٥٧].

يقول الرسول: **"وان تعتبروهم كثيراً جداً فى المحبة من أجل عملهم"** (ع ١٣). عمل الراعى الحكيم يتركز فى جهاده المستمر وسهره ويقظته على كل إنسان لكى يدخل به إلى التمتع بالحياة فى المسيح يسوع بواسطة الروح القدس، الأمر الذى يعرضه كثيراً لمضايقة حتى من يخدمهم لأجل

توبتهم وخلاصهم بالرب. لهذا يوصى الرسول بحب الرعاة واضعين فى قلوبنا جهادهم ومحبتهم التى تدفعهم لمثل هذه التصرفات التى قد تكون فى نظرنا مؤلمة. وكما يقول **القديس يوحنا ذهبى الفم**: "هكذا كما يضطر الأطباء إلى مضايقة المرضى لكن المرضى يقبلون ذلك من أجل فائدتهم، وكما أن الآباء كثيراً ما يضايقون أبناءهم، هكذا بالأكثر جداً يفعل المعلمون ذلك. يتضايق المرضى من الطبيب ومع هذا فغالباً ما يدخلون معه فى علاقة ود.. ويمارس الأب سلطانه على ابنه بسهولة شديدة بحكم الطبيعة وخلال القوانين الوضعية فيقوم بتأديب ابنه بغير إرادة الابن ومع ذلك فلا يجد ما يعوقه ولا يقدر الابن أن يرفع نظره إليه، أما الكاهن فإن فعل هكذا يجد صعوبة شديدة، فمن جهة الكاهن ملتزم بتدبير أمور شعب يطيعونه بإرادتهم (دون إلزام) ويشكرونه على تدبير أمورهم، وإن كان هذا لا يتحقق بسهولة، فإن دان الكاهن شخصاً ووبخه فبالتأكيد لا يشكره الشخص بل يتحول إلى عدو وهكذا إن قدم نصيحة أو نذر. فإن قلت لكم أنفقوا غناكم على المحتاجين أكون كمن يهاجمكم وثقيلاً عليكم. وان قلت لكم أكبحوا غضبكم وأطفئوا غيظكم واضبطوا شهواتكم الشريرة وتخلوا عن الترف تحسبوا هذا أمراً ثقيلاً وهجوماً ضدكم. فإن عاقبت إنساناً كسولاً أو طردته من الكنيسة أو استبعدته عن الصلوات العامة يحزن لا لأنه سيحرم من الأمور، وإنما لأنه يحسب فى ذلك إهانة عامة قد لحقت به"[٥٨]. هكذا يلتزم الكاهن أحياناً فى محبته الأبوية أن يكون حازماً الأمر الذى يعرضه لمضايقة الناس منه، فلا تقابل أبوته بالحب بل بالبغضة، لهذا يقول الرسول: "وأن تعتبروهم كثيراً جداً فى المحبة من أجل عملهم".

٣- وصايا أخرى

ختم الرسول رسالته بوصايا قصيرة مترابطة معاً، وهى:

أولاً: "انذروا الذين بلا ترتيب": ماذا يعنى بالترتيب؟ فى اليونانية تعنى "طقس" أو "نظام"، وهى لا تقف عند حدود التنظيمات الخارجية وإنما تحوى منهج الحياة، كأن نقول "طقس الملائكة" أى الحياة الملائكية فى نقاوتها وتسابيحها وتفكيرها إلخ، وهكذا عندما نقول "طقس الرهبنة" يعنى الفكر الرهبانى العميق بما يحمله من اتجاهات داخلية مع تدابير. فالمسيحى له طقسه الخاص به الذى هو "الحياة فى المسيح"، فتكون له إرادة المسيح وفكر المسيح وسلوك المسيح فى عبادته الشخصية والعائلية والجماعية وحياته اليومية كما فى حياته الخفية الداخلية.

يقول **القديس يوحنا ذهبى الفم**: "من هم الذين بلا ترتيب؟ الذين يعملون ما يضاد إرادة الله.. فالإنسان الشتام يسلك بلا ترتيب، والسكير أيضاً وكل الذين يخطئون. هؤلاء يسلكون بلا ترتيب يليق برتبتهم إذ ينحرفون عنه، لهذا يطرحون خارجاً"(٥٩).

الحياة المسيحية هى طقس متكامل يحمل جوانب عديدة وتعبدية وسلوكية، فكل من ينحرف عن العقيدة أو الترتيب التعبدى الكنسى أو السلوكى إنما يسلك بلا ترتيب.

ثانياً: "شجعوا صغار النفوس، اسندوا الضعفاء، تأنوا على الجميع" (ع ١٤) كأن الرسول يعلن لهم أن إنذار من هم بلا ترتيب يلزم أن يكون بحنو وترفق حتى لا يسقط صغار النفوس ولا يتحطم الضعفاء. أو بمعنى آخر إذ ننذر الذين بلا ترتيب إنما نفعل هذا بكل أناة. فان كان خدام الكنيسة ملتزمين أن ينذروا من هم بلا ترتيب لكن الأساس فى هذا العمل هو الحب المترجم عملياً خلال طول الأناة، وكما يقول **القديس يوحنا ذهبى الفم**: "ليس دواء يعادل هذا (طول الأناة يناسب المعلم، ولا ما يناسب من هم تحت التدبير مثله" (٦٠).

ماذا يقصد الرسول بصغار النفوس؟ إنهم الذين لا يحتملون الإهانة فتصغر نفوسهم جداً ويتعرضون لليأس. مثل هؤلاء يلزم أن نستخدم معهم أسلوب التشجيع، فنترفق بهم حتى عند انتهارهم، فالانتهار ليس غاية فى ذاته، ولا واجب يلتزم به المدبر، وإنما هو وسيلة للبنيان، فإن حطم نفساً صغيرة تطلب هذه النفس من المدبر.

يجد الراعى بين شعبه من هم "ضعفاء" فى الإيمان، فلا يحتقرهم بل يترفق بهم ويسندهم حتى يمتلئوا قوة، متشبهاً بالسيد المسيح نفسه الذى قيل عنه "قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدخنة لا يطفئ".

أخيراً يقول "تأنوا على الجميع"، فإن كل نفس – مهما بلغ سموها الروحى – تحتاج إلى طول الأناة.

ما أعذب الكلمات التى نطق بها **القديس امبروسيوس:** "يارب هب لى أن تكون سقطات كل إنسان أمامى، حتى احتملها معه، ولا أنتهره فى كبرياء بل أحزن وأبكى. ففى بكائى من أجل الآخرين أبكى على نفسى قائلاً: "هى (ثامار) أبر منى" (تك ٣٨:٢٦)"[٦١]. وكلمات **القديس يوحنا الدرجى:** "أيها الراعى النشيط أطلب الضال، واحمله على منكبيك بفرح، فتقدر على شفاء الأمراض المميتة المؤلمة، فالمحبة تعظم الجبابرة وهى موهبة الطبيب"[٦٢].

فى دراستنا للحب الرعوى رأينا أن عمل الكنيسة أن تحل لا أن تربط، وأن ربطت عند الضرورة القصوى إنما لكى تحل. تترفق بالجميع فى طول أناة، مهما ثقلت الخطايا.. ولكن بغير مهادنة[٦٣].

ثالثـــاً: "انظروا أن لا يجـــازى أحد أحـــداً عن شر بشر" (ع ١٥).
وكأن الرسول يعلن أن الحب لا يقف عند حدود مساندة الضعفاء والتـــرفق

بالخطاة، وإنما يلزم احتمال شر الأشرار بقلب متسع دون انتقام الإنسان لنفسه. يقول **القديس يوحنا ذهبى الفم:** "تقول إن إنساناً كهذا شرير قد أحزننى وسبب لى أضراراً جسيمة. أتريد أن تنتقم لنفسك؟ لا تثأر لنفسك، بل أتركه ولا تنتقم.هلى تقف عند هذا الحد؟ لا، **"بل كل حين اتبعوا الخير بعضكم لبعض وللجميع"** (ع ١٥) هذا هو علو الفلسفة أننا لا نقابل الشر بالشر بل نقابله بالخير. فإن هذا بحق هو انتقام يسبب لنفسك نفعاً ويمكن للآخر أيضاً أن ينتفع إن أراد"[٦٤].بمقابلة الشر بالخير ينتفع صانع الخير ويتزكى أمام الله والناس، بينما يفقد الشرير الكثير أمام الجميع إن لم يتب. هذا ويؤكد الرسول أن هذا التصرف لا يكون فقط فى تعاملنا مع الإخوة وإنما مع الجميع حتى الذين يضايقوننا باطلاً، فإن النار لا تطفأ بالنار بل بالماء.

رابعاً: "افرحوا كل حين" (ع ١٦). إذ يتسع القلب بالحب للجميع حتى للأشرار ترتدى النفس ثوب العرس المفرح وتحسب أهلاً للحياة السماوية فتتعم بالفرح كعطية سماوية حتى وسط الآلام، فلا يقدر الغم أن يتسرب إليها تحت أى ظرف، وإن تسرب لا يقدر أن يستقر فيها. حقاً إن الفرح الدائم وإن كان وصية إنجيلية لكنه فى نفس الوقت هو عطية الروح القدس (غلا ٢٢:٥) يوهب للنفس خلال اتحادها بالله الآب فى ربنا يسوع المسيح. لذلك يقول **القديس غريغوريوس صانع العجائب:** "أنظروا أيها الأعزاء المحبوبين كيف يهبنا الله فى كل موضع وبطريقة متكاملة الفرح الدائم الفائق المعرفة"[٦٥]. ويقول **القديس ديديموس الضرير:** "لقد دعى الروح القدس الذى يرسله بالمعزى، ملقباً إياه هكذا بسبب عمله، لأنه ليس فقط يريح من يجدهم مستحقين ويخلصهم من كل غم وإضطراب فى النفس، بل فى نفس الوقت يمنحهم فرحاً أكيداً لا ينحل، فيسكن فى قلوبهم فرح أبدى حيث يقطن الروح القدس"[٦٦].

خامساً: "صلوا بلا إنقطاع" (ع ١٧). ربما يتساءل البعض: كيف نتمم الوصايا السابقة أو كيف ننعم بالمواعيد السابقة من حب بلا حدود وفرح فى كل حين؟ يجيب الرسول بوصية جديدة هى سر العطايا الإلهية: **"صلوا بلا إنقطاع، اشكروا فى كل شئ، لأن هذه هى مشيئة الله فى المسيح يسوع من جهتكم" (ع ١٧، ١٨).** ما أحوجنا إلى الصلاة الدائمة، إنها عمل الملائكة، خاصة التشكرات فى كل شئ. بهذا تتحقق غاية الله فينا فى المسيح حياتنا حيث تصير لنا الحياة السماوية معلنة فى داخلنا كما فى تصرفاتنا.

ماذا تعنى الصلاة الدائمة؟

(أ) إن كانت الصلاة تعنى "الصلة"، فإن الصلاة الدائمة تعنى العلاقة المستمرة مع الله وإدراك وجودنا فى الحضرة الإلهية بلا إنقطاع، فى عبادتنا كما فى أثناء عملنا، وفى يقظتنا كما فى أثناء نومنا. يقول **القديس جيروم:** "كان العبرانيون مطالبين أن يظهروا أمام الرب ثلاث مرات فى السنة (خر٢٣:١٧).. إذ كان الكتاب المقدس يتحدث فى سفر الخروج إلى أناس صغار (فى القامة الروحية)، أما هنا فيحث النبى (الرسول) المؤمنين بالله أن يطلبوه على الدوام، إذ يأمرنا العهد الجديد بالصلاة بلا إنقطاع"[٦٧].

(ب) الصلاة الدائمة فى ذهن **القديس هيلارى أسقف بواتييه** هى تخطى حدود الجسد ومطالبه التى تربطنا على الدوام لنهتم بالأكثر بالروحيات، إذ يقول "إننا ملتزمون أن نستخف بمطالب الجسد وأن نستمر فى الصلاة بلا عائق"[٦٨].

لا يعنى هذا تجاهل الجسد واحتقاره، وإنما لأننا قد أسرنا باحتياجاته بطريقة شديدة يلزمنا أن نتحرر من هذه العبودية لنحيا روحياً فنعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله، فيما نهتم باحتياجات الجسد دون استعباد له نهتم بالروح بلا إنقطاع!.

كيف نمارس الصلاة الدائمة؟

يقول **القديس أغسطينوس:** "هل بقوله: صلوا بلا إنقطاع يعنى أننا نحنى ركبنا ونطرح أجسادنا أو نبسط أيدينا بلا إنقطاع؟ لو كانت الصلاة تعنى هذا فإننى أظن أننا لا نقدر على الصلاة بلا إنقطاع، وإنما يوجد نوع آخر داخلى للصلاة بلا إنقطاع، وهى رغبة القلب إلى أمر يعمله.. فان كنت مشتاقاً إلى السبت (الراحة الأبدية) فأنت لا تكف عن الصلاة. إن أردت ألا تمتنع عن الصلاة، فلا تكف عن الشوق إليها، فإن إستمرار الاشتياق إنما هو إستمرار للصلاة"[٦٩]. فالصلاة الدائمة إنما هى التهاب القلب المستمر بل والمتزايد، فى حنين لا ينقطع نحو الحياة الأبدية أو السكنى مع الله وفيه إلى الأبد. هذا الحنين يلتهب كلما خلع الإنسان عنه ثوب الدنس وإرتدى بالروح القدس النارى الحياة المقدسة، منطلقاً من حياة الخطية المثقلة للنفس إلى الحياة الفاضلة فى الرب التى تسحب الفكر والقلب وكل الأحاسيس نحو الإلهيات. وكما يقول **الأب اسحق:** "لا نقدر أن ننفذ هذه الوصية (الصلاة بلا إنقطاع) ما لم يتنقى عقلنا من كل وصمات الخطية إلى الفضيلة حتى يكون صلاحه طبيعياً، ويتغذى على التأمل المستمر فى الإله القدير"[٧٠].

هذه الصلاة المستمرة تسندها الصلوات اليومية للسواعى وكما يقول **القديس جيروم:** "إن كان الرسول يأمرنا أن نصلى بلا إنقطاع، إن كان حتى النوم ذاته يحسب توسلاً بالنسبة للقديسين، يلزمنا أن نحدد ساعات للصلاة، حتى إذا ما أعاقنا العمل يذكرنا الموعد نفسه بإلتزامنا. الصلاة، كما يعرف الجميع، يلزم أن تمارس فى الثالثة والسادسة والتاسعة وفى الفجر والغروب. لا تبدأ وجبة طعام بدون صلاة، وقبل ترك المائدة يلزم تقديم الشكر للخالق. يلزمنا أن نقوم فى الليل مرة ومرتين ونراجع أجزاء من الكتاب المقدس التى نحفظها عن ظهر قلب. عندما نترك السقف الذى

ننام تحته لتكن الصلاة هى سلاحنا، وعندما نعود من الشارع فلنصلِ قبل أن نجلس، ولا نعطى للجسد الهزيل راحة حتى تتقوت النفس"[٧١].

سادساً : "اشكروا فى كل شئ" (ع ١٨). قلنا أن الشكر فى كل شئ هو سمة خاصة بالسمائيين، الذين إذ يدركوا الله كلى الحكمة والحب يشكرونه من أجل صلاحه وتدبيراته الصالحة. بهذا فإن المؤمن لا يقدر أن يشكر فى كل شئ بلسانه ما لم يحمل –خلال المعمودية– الطبيعة الجديدة السماوية والمستنيرة، فيلهج قلبه بتسبحة شكر لا ينقطع. يشعر أنه مدين لأبيه السماوى بكل حياته، مدركاً أبوة الله له ورعايته الفائقة، فتصرخ أعماقه بتسابيح الحمد الخفية، وينفتح لسان إنسانه الداخلى بالترنم كما فعل الأطفال والرضع عند دخول السيد أورشليم.

سابعاً: "لا تطفئوا الروح"(ع ١٩). لقد شغلت هذه العبارة آباء الكنيسة، وقد سبق لى عرض آراء بعض آباء الكنيسة فيها فى كتاب "الروح القدس بين الميلاد الجديد والتجديد المستمر"[٧٢].

الله الذى يهبنا روحه القدوس عطية مجانية ليعمل فينا بلا إنقطاع يحذرنا على فم رسوله من أن نطفئ الروح، أى نوقف عمل إستنارته فينا خلال مقاومتنا له. حقاً إن الروح لن يفارقنا قط مهما أخطأنا، لكنه يحزن علينا، وينطفئ عمله فينا خلال عدم تجاوبنا معاً. يشبه **القديس يوحنا ذهبى الفم**[٧٣] عطية الروح القدس بمصباح أو سراج منير داخل البيت، فإن فتح الإنسان بابين متقابلين دخل تيار الهواء بشدة وأطفأه. لهذا يقول إن فتح إنسان باب فمه بكلمة إهانة ضدك فلا تفتح أنت بابك بإهانة مماثلة، فترد السب بالسب، لئلا يدخل فى نفسك تيار هواء الحقد ويطفئ لهيب الروح المشتعل فى داخلك! ليفتح الشرير بابه أمامك لكنك فى حكمة إذ تترك بابك مغلقـاً تبقى

عطية الروح ملتهبة فى الداخل.

أما زيت هذا السراج فهو أعمال الحب، فإن الروح القدس النارى يبقى عمله ملتهباً فينا ما دامت أحشاؤنا تتجاوب معه بالحب لله والناس، أما إذا أغلقنا أحشاءنا تجاه الله والناس فإننا نفقد زيت الحب الذى ينير فينا ويقول **القديس يوحنا ذهبى الفم** أن اللصوص عند سلبهم بيتاً ما، فانهم إذ يدخلونه يطفئون السراج الذى فيه حتى يقدروا أن يحققوا غايتهم، وهكذا فإن عمل الشيطان الرئيسى عند اقتحامه قلب مؤمن هو تحطيم عمل الروح فيه حتى يسلبه كل حياته.

ثامناً: "لا تحتقروا النبوات" (ع ٢٠): كما تهتم الكنيسة أن يبقى عمل الروح القدس النارى دائم الالتهاب داخلنا، هكذا تهتم أيضاً أن يبقى ملتهباً خلال منبرها، فلا يقف إنسان ليتكلم بنبوة (عظة) بغير اكتراث. بمعنى آخر، يلزمنا ألا نحتقر عمل الروح فينا لئلا ينطفئ، ولا نحتقره فى كلمة الوعظ بل تكون كجمرة نار متقدة يمسكها الكاهن كما بملقط وكأنه بشاروبيم يقدمها فى قلوب أولاده الروحيين حتى يلتهبوا هم أيضاً بالنار الإلهية المقدسة ولا ينطفئ فيهم الروح.

حقاً ما أحوج الكنيسة إلى كهنة ملتهبين ناراً كالشاروبيم، يقدمون كلمة الله كجمرة نار قادرة على العمل فى قلوب الناس.

تاسعاً: روح التمييز: "امتحنوا كل شئ، تمسكوا بالحسن، امتنعوا عن كل شبه شر" (ع ٢١،٢٢). إن كان يليق بالخادم ألا يحتقر المنبر بل يقدم خلال حياته الملتهبة كلمة الله كنار متقدة، فإنه يلزم للشعب أيضاً أن يحمل روح التمييز (١كو ١٢: ١٠) فيقبل كلمة الله الصادقة ويرفض اللبن الغاش. بهذا الروح يقدر المؤمن أيضاً أن يفرز الفكر الذى يخطر به، فيقبل فكر الله

ويرفض الفكر الشرير وما هو شبه شرير كالأفكار الباطلة التى وإن كانت ليست شراً لكنها مفسدة للوقت ومضيعة للطاقة.

٤- ختام الرسالة

يختم الرسول رسالته بالبركة الرسولية أو تقديم صلاة عنهم، إذ يقول: **"وإله السلام يقدسكم بالتمام ولتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجئ ربنا يسوع المسيح" (ع ٢٣).**

يقول **القديس يوحنا ذهبى الفم:** "لاحظ حب المعلم، فإنه يصلى بعد أن ينصح، بل يضيف الصلاة إلى رسالته، فإننا فى حاجة إليها كما إلى المشورة. لهذا السبب نقدم لكم نحن أيضاً المشورة وبعد ذلك نرفع عنكم الصلوات"(٧٤).

ما هى طلبتنا ككهنة من أجل شعب الله إلا أن يقدسهم إله السلام ويحفظ روحهم ونفسهم وجسدهم بلا لوم فيأتى ليجد كل ما لهم قد تقدس له وتهيأ لملاقاته فيشترك معه فى المجد. إننا نصلى إلى الثالوث القدوس، الله الواحد، ملك السلام، ليهب التقديس، وكما يقول **القديس امبروسيوس:** "كما أن الآب يقدس هكذا أيضاً الابن والروح القدس"(٧٥).

التقديس هو من عمل الثالوث القدوس، وإن كان ينسب على وجه الخصوص للروح القدس، لأنه هو الذى يهب حياة الشركة والاتحاد مع الله فى ابنه، مقدماً لنا هذا العمل كسَّر غفران خطايانا وتقديس حياتنا الروحية والجسدية، وذلك فى استحقاقات الإبن الوحيد الذى قدم دمه ثمناً لتقديسنا، منطلقاً بنا إلى الآب القدوس لنستقر فى أحضانه المقدسة. فالروح القدس هو روح القداسة وواهبها، والابن هو الذى دفع الثمن، والآب هو الذى يريد تقديسنا مرسلاً إبنه الحبيب إلينا بغية هذا الهدف . لهذا ينسب الكتاب عمـــل

التقديس للآب كقول السيد المسيح نفسه: "قدسهم فى حقك، كلامك هو حق" (يو ١٧:١٧)، كما ينسب للابن كقول الرسول: "ومنه أنتم بالمسيح يسوع الذى صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداء" (١كو ٣٠:١)، وينسب الروح القدس: "الله إختاركم من البدء للخلاص بتقديس للروح وتصديق الحق" (٢تس ٣:٢).

إن غاية الرسول من كرازته ورعايته وصلواته أن يرى شعب الله مقدسين فى الحق، لتتحقق فيهم طلبة المسيح نفسه فى صلاته الوداعية: "قدسهم فى حقك.. لأجلهم أقدس أنا ذاتى ليكونوا هم أيضاً مقدسين فى الحق" (يو ١٩:١٧). هذا التقديس يمس حياة المؤمنين "روحهم ونفسهم وجسدهم"، كقول الرسول: "ولتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجئ ربنا يسوع المسيح"(ع ٢٣). ويعلق **القديس ايريناؤس**: "ماذا كان هدفه من الصلاة؟ أن يحفظ هؤلاء الثلاثة، النفس والجسد والروح، إلى مجئ الرب، فقد أدرك الرسول الحاجة إلى إعادة تكامل الإنسان، الأمر الذى يتحقق فى الحياة العتيدة، فيتم اتحاد الثلاثة معاً ليرثوا معاً خلاصاً واحداً بعينه"[٧٦].

"الحياة المقدسة" ليست هدفاً لصلاة الرسول فحسب، وإنما غاية دعوة الله نفسه لنا، لذلك يقدم كل إمكانياته الإلهية لتحقيق دعوته لنا، إذ يقول **"أمين هو الذى يدعوكم الذى سيفعل أيضاً" (ع ٢٤)**. ويعلق **القديس يوحنا ذهبى الفم** على هذه العبارة، قائلاً: "تطلع إلى اتضاعه! لا تظن أن هذه (القداسة) تتحقق لهم بسبب صلاته عنهم وإنما بسبب دعوة الله لهم إليها. لقد دعاهم للخلاص، وهو صادق فسيخلصهم بالتأكيد، لأن هذه هى إرادته"[٧٧].

بعد أن صلى من أجلهم طالبهم بالصلاة من اجله، مقدماً نفسه مثالاً حياً للخادم الحى الذى يعرف رسالته وغايته، فعمله الرئيسى هو الصلاة عن

الآخرين كقول النبى صموئيل: "وأما أنا فحاشا لى أن أخطئ إلى الرب فأكف عن الصلاة من أجلكم بل أعلمكم الطريق الصالح المستقيم" (١صم ١٢:٢٣)، وفى نفس الوقت يطلب صلوات شعبه من أجله مدركاً حاجته إلى مساندتهم خلال الصلاة.

أخيراً يقول الرسول: "**سلموا على الاخوة جميعاً بقبلة مقدسة. أناشدكم بالرب أن تقرأ هذه الرسالة على جميع الاخوة القديسين نعمة ربنا يسوع المسيح معكم. آمين**" (ع ٢٦-٢٨).

إذ هو غائب عنهم بالجسد يود أن يقبلهم قبلات مقدسة فى الرب، وإذ لا يستطيع أن يحقق ذلك يطلب منهم أن يقبلوا الاخوة نيابة عنه. هكذا يلتهب فى قلبه نار الحب الروحى! أما طلبه أن تُقرأ الرسالة على جميع الاخوة فيحمل أيضاً علامة حبه للجميع مشتهياً أن يتحدث معهم ولو بالرسالة.

أخيراً يختم الرسالة بطلب نعمة ربنا يسوع المسيح تسندهم فى ضيقتهم فى الحياة الفاضلة وتحقق إرادة الله فيهم.

ملاحظـــــات

مقدمة

١- "سلوانس" الاسم اللاتينى لسيلا اليونانى، وقد أخذ الاسم الأخير عن الأصل الآرامى "شنيلا" أو "شاول" ومعناه "مسئول".

2- W. M. Ramsay: St. Paul, the Traveler and Roman Citizen, London 1895, p 228.

الأصحاح الأول

3- In 1 Thess. hom 1

4- Ibid.

5- Ibid.

6- Ibid.

7- Ibid.

8- Ibid 2.

الأصحاح الثانى

9- Ep. 30.

10- In 1 Thess, hom 2.

11- In 2 Cor. hom 13.

12- In 1 Thess, hom 2.

13- Ibid.

14- In 2 Cor. hom 15: 3,4.

الأصحاح الثالث

15- - In 1 Thess, hom 3.

16- Ibid 4. 17- Ibid.

18- Serm on N.T. 54 : 4.

19- In 1 Thess, hom 4.

20- Of the Holy Spirit 3:14.

21- On the Holy Spirit 21.

الأصحاح الرابع

22- In 1 Thess, hom 5.

23- Ibid.

24- City of God 14:13.

25-Duties of Clergy 3:12.

٢٦- راجع المؤلف: الحب الأخوى، ١٩٦٤، ص ٣٨-٤٠

27- In 1 Thess, hom 5.

28- Ibid.

29- Ibid.

30- Ibid.

31- Ibid.

32- Instit 10:7.f

33- Ibid

34- Ibid.

35- Ep. 22:2 On perfection of the life of Solitaries.

36- Selected Demonstrations 8 ; Of the Resur. of the Dead 18.

37- On Belief in Resurr. 2:39.

38- On the Decease of Statyrus 1:10.

39- Ep 62. 40- Ep. 101.

41- Treat. 7 on Mortality 21. 42- In 2 Gor hom. 1:7.

43- In 1 Thess, hom 7. 44- Ibid 8.

45- On Making of Man 22. 46- Adv. Eunomins 12.1.

47- On Ps. 109:56.

الأصحاح الخامس

٤٨- يرى الآباء فى كلمات السيد المسيح والرسول بولس ما يمنعنا من البحث عن معرفة الأزمنة، فيقول القديس أغسطينوس: "هذه العبارة تكفى بوضوح أنه ليس لإنسان أن يدعى لنفسه معرفة ذاك الزمن بأى تخميـــن" (تفسير المزامير ٦:١).

49- Sermons on the N. T., hom 43:8.

50- On Ps. 63:13. 51- In 1. Thess, hom 9.

52- Ladder of Heaven 29:3,9. 53- In 1. Thess, hom 9.

٥٤- مناظرات كاسيان ٧:٥.

55- In 1. Thess, hom 9. 56- Ibid 10.

٥٧- للمؤلف: القديس يوحنا الذهبى الفم، ١٩٧٩.

: الحب الرعوى، ١٩٦٥، ص ٧٤-٨٢.

58- In 1. Thess, hom 10. 59- Ibid60- Ibid.

٦١- الحب الرعوى، ص ٥٩٢. ٦٢- الحب الرعوى، ص ٥٩٤.

٦٣- الحب الرعوى، ص ٥٧٠-٦٠١.

64- In 1. Thess, hom 10.

65- Hom 2 On Annunciation to the holy virgin Marry.

٦٦- الحب الإلهى، ص ٩٤٦.

67- On Ps. 31. 68- On Ps. 1:12. 69- On Ps. 38:13.

71- Ep. 22:37. ٧٠- مناظرات كاسيان ٣:٩.

٧٢- الروح القدس بين الميلاد الجديد والتجديد المستمر، ١٩٨١.

73- In 1. Thess, hom 11. 74- Ibid.

75- Of the Holy Spirit 3:4.

76- Adv. Haer 5:6:1.

77- In 1. Thess, hom 11.

فهرس

مقدمة

صفحة

مقدمة ٥

- تسالونيكى
- قبولها الإيمان
- تاريخ كتابتها، غايتها
- أقسام الرسالة

الأصحاح الأول: نجاح الكنيسة فى تسالونيكى ٩

- مقدمة الرسالة
- نجاح الكنيسة
- شكره لله على نجاحهم
- إيمانهم ورجائهم ومحبتهم
- صيرورتهم قدوة للجميع.

الأصحاح الثانى: أبوة الرسول للمتألمين ٢٠

- أبوة الرسول
- تألم الكنيسة
- شوق الرسول إليهم

الأصحاح الثالث إرسال تيموثاوس إليهم ٣١

- إرسال تيموثاوس
- تقرير تيموثاوس عنهم

الأصحاح الرابع: تثبيت المؤمنين ٣٩

- مفهوم الحياة الفاضلة
- التخلى عن الزنا
- النمو فى الحب
- مجئ الرب الأخير

الأصحاح الخامس: وصايا ختامية ٥٦

- حياة السهر
- محبة الرعاة، وصايا أخرى

ختام الرسالة

362002